الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع:

جدلية العلاقة بين التربية والسياسة عند جان جاك روسو

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماسترفي الفلسفة

إعداد الطالبتان:

- معوش كريمة
- شيحة سميرة

لجنة المناقشة		
الأستاذ(ة)	الجامعة	الصفة
د. جلول مقورة	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	رئيسا
أ. لصقع الربيع	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مشرفا ومقررا
أ. معيلبي عيسى	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017

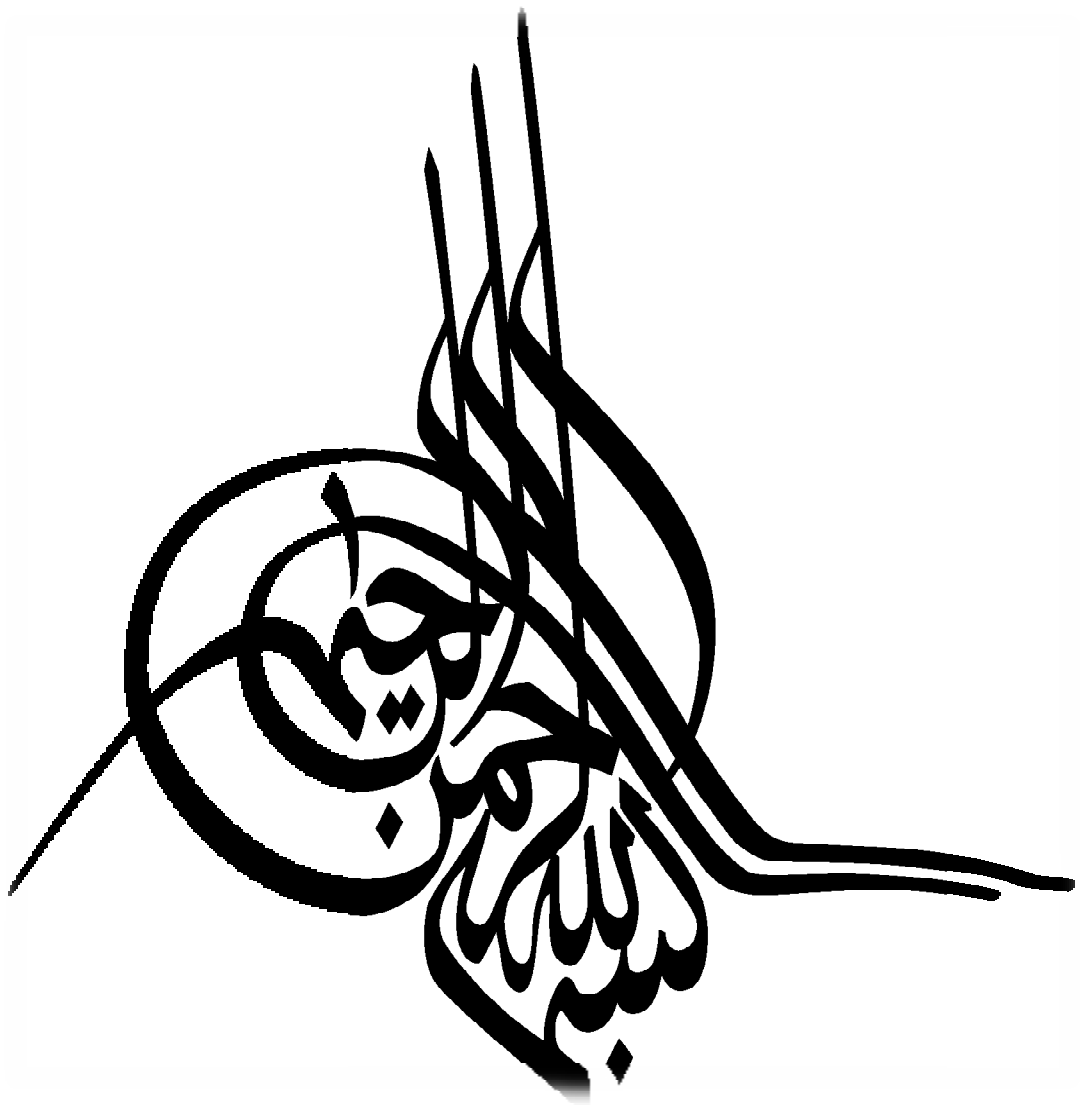
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل وبأنبل كلمات التقدير إلى الأستاذ الفاضل لصقع الربيع الذي تابع هذا العمل منذ خطواته الأولى وشجعنا على العمل باستمرار بفضل توجيهاته ونصائحه وتقويماته المتتالية التي ساهمت في إثراء هذا البحث إلى آخر لحظة فيه

إلى كل من ساهم ومن كان له الفضل في إنجاز هذا العمل كما نتقدم بالشكر إلى أساتذة وطلبة قسم الفلسفة بالمسيلة

وإلى مكتبة النجاح التي كان لها الفضل الكبير

كريمة- سميرة

مقدمة

مقدمة

يعتبر الإنسان الركيزة الأساسية في تكوين المجتمع وتطويره، من حيث تركيبته الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها. وله عقيدته التي نشأ حولها تفكيره وعاداته التي انبثقت منها مختلف توجهاته وانتاجاته الفكرية، فقد أنتج ما يسمى بالنظريات والفلسفات التي ميزته في مختلف مراحل حياته، ومن بين هذه الفلسفات التي توجه إليها الإنسان وجعلها هدفا أسمى هي الفلسفة السياسية والتربوية، وذلك نظرا لما يعيشه الفرد في بيئته وما ميز هاذين الفكرين كون أنهما يبحثان في كيفية إيجاد حلول لضمان حياة الإنسان والحفاظ على قيمته.

هذا ما أدى إلى ظهور نظريات سياسية أشهرها العقد الاجتماعي الذي يبحث في حقوق الإنسان كما لحقتها النظريات التربوية التي تهدف إلى إنشاء جيل صالح كفيل بالحفاظ على المجتمع وتحقيق السلم والأمان ومن بين الفلاسفة الذين برزوا في الفكر التربوي والسياسي وكان لهم الأثر البالغ ونقطة التحول، هو فيلسوف العقد الاجتماعي وزعيم النزعة الطبيعية في الفلسفة والفكر **جان جاك روسو *J.J.Rousseau*** وهو جوهر دراستنا هذه فلا يمكن أن نتجاهل أو أن نتغاضى عن مدى أهمية الدور الذي قدمه في الفكر السياسي، وما تضمنه في العقد الاجتماعي أو التربوي الذي برز فيه من خلال عملية تربية الطفل، لذلك تبقى هذه المسائل من كلا الفكرين بحاجة إلى تعمق ودراسة أكثر، رغم ما قدم فيها من أفكار ومواضيع ودراسات مضت، وهذا ما دفع بنا إلى أن نبحث عن إشكالية علاقة التربية بالسياسة عند جان جاك روسو وهي كيف قارب جون جاك روسو علاقة التربية بالسياسة؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية جملة من المشكلات الجزئية منها: ما التربية في نظر روسو ؟ وما هي أهم الأفكار التربوية التي نادى بها ؟ وما دور الطبيعة في تحديد معالم فكره التربوي ؟ ما السياسة ؟ وما جوهر فكره السياسي ؟ وما دور الطبيعة في تحديد معالم فكره السياسي؟ وهل يمكن إصلاح السياسة بالتربية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى فصول وهي:

فصل تمهيدي وتناولنا فيه **الخلفية الفكرية لروسو** أما **الفصل الأول** فكان بعنوان **معالم الفكر التربوي عند جان جاك روسو**، وقد تناولنا فيه مجموعة من العناصر تمثلت في مفهوم التربية ،وأهم الأفكار التربوية التي أتى بها روسو ودور الطبيعة وغيرها أما **الفصل الثاني**: فكان بعنوان **معالم الفكر السياسي عند روسو** وقد أندرج تحته عدة أفكار من بينها الحالة الطبيعية، والحالة المدنية العقد الاجتماعي ومبادئه، والإرادة العامة والسيادة وأيضا نظرته حول أشكال الحكم والأنظمة كما بحثنا في **الفصل الثالث**: **عن جدلية العلاقة بين التربية والسياسة عند روسو** من خلال الخوض في مجموعة من الأفكار، وهي البعد السياسي في التربية والبعد التربوي في السياسة، وقد أنهينا بحثنا هذا بمجموعة من الاستنتاجات وهذا ما جاء في الخاتمة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي ويتجلى ذلك من خلال تحليلنا لأفكار روسو، أما المصادر والمراجع التي أعانتنا في إنجاز هذا البحث فيمكن الإشارة إلى البعض منها، كتاب إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد لروسو وكذلك العقد الاجتماعي، ولقد كانت لنا أسباب عدة أدت بنا إلى اختيار موضوعنا هذا يتمثل في ميولنا إلى مواضيع الفكر والفلسفة الغربية والاهتمام بفلسفات العصور الحديثة بالإضافة إلى الرغبة في التعرف على واحد من عمالقة الفكر التربوي والسياسي هو جان جاك روسو وذلك لما كان له من تأثير على مستوى المجتمع الفرنسي والفكر الإنساني عموما.

ومن الصعوبات التي واجهتنا هي قلة الدراسات المعاصرة لجدلية العلاقة بين التربية والسياسة وافتقار مكتبتنا لأهم الكتب ، وعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد تمكنا من تجاوزها بالمثابرة والاجتهاد والصبر وتوجيهات الأستاذ المشرف

وعلى الرغم من قلة الدراسات فإنه يمكن الإشارة إليها في دراسة: الحاج رباني : نظرية العقد الاجتماعي كتأصيل فلسفي لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو. وهي عبارة عن رسالة ماجستير سنة 2003.

في الأخير لا يسعنا إلا أن نقول أن هذه الدراسة هي مجرد محاولة منا للاقتراب من الفكر السياسي والتربوي عند روسو وأملنا أن نساهم ولو بقسط بسيط في إبراز معالم هذا الفكر.

الفصل التمهيدي

التعريف بجان جاك روسو

1- حياته .

2- مصادر فكره.

3- أهم آثاره .

1- التعريف بجان جاك روسو *J.J.Rousseau*:

"ولد بجنيف في 28 يونيو 1712، ولد عليلا ضعيفا وكان الأمل في حياته طفيفا تولته عمته بعنايتها حتى أنقذته، وأسرة روسو فرنسية الأصل نزحت من باريس لأسباب دينية واستقرت في جنيف عام 1529، وكانت أمه سوزان برنار مليحة القسمات، موفرة الحيوية واسعة الثقافة، تحب الموسيقى، وتقرأ القصص، وتقرض الشعر وقد كلفتها ولادته حياتها، وهكذا فقد روسو يوم ولادته إلى جانب حنان الأمومة خير ضمان لتربية مستقرة "[1].

"عهد به والده إلى أحد الحفارين كي يعلمه صناعة، وكان هذا الرجل فظا قاسيا فغادر روسو المدينة هربا منه وهو في السادسة عشر، وهام على وجهه يحترف شتى الحرف في سويسرا وإيطاليا، وبعد ثماني سنوات لقي في سافوي سيدة يسرت له شيئا من الاستقرار، فاستطاع أن يكون نفسه"[2].

" بعد مغامرات عديدة عمل خادما في تورنتو، وفي عام 1741 استقر به المطاف في باريس، حيث حاول أن يروج لمحاولة تدوين الموسيقى، ثم غادر باريس إلى البندقية حيث عمل كاتب لسفير في فرنسا، وفي سنة 1750 نشر خطابه في العلوم والفنون، وفي سنة 1754 أصدر خطابا في التفاوت، وفي سنة 1758 كتب رسالة إلى دالمبير في المسرح، وفي عام 1761 كتب العقد الاجتماعي، وأخيرا كتاب إميل سنة 1762 "[3].

"عاش روسو طفولته، بدون عائلة، تركه أبيه لخاله وهذا الأخير تركه لراع أي طفولته عصامية، الأمر الذي جعله ثائر وانفعالي ، حيث دخل مأوى تورين للمبتدئين عاصر فولتير، وديدرو هذه الطفولة المضطربة لم تمنعه من أن يصبح عبقريا فذا، حيث

---

[1]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص، 7.

[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، (د،ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د،ت)، ص، 212.

[3]- إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص، 191- 192.

نبغ في شتى العلوم وخاصة علم السياسة،أين اهتم بجوانب منها تأثرت في الحركات العلمية ..."[1]

"وقد مات روسو قبل حدوث الثورة الفرنسية بعشرة أعوام، وكان له أثر عظيم في إثارتها، فوثيقة الثورة المسماة ب "إعلان الحقوق " ***declaration of rights*** مأخوذة تقريبا حرفيا من كتاب روسو المسمى "العقد الاجتماعي" ***social contract***، وأثر هذا الكتاب كثيرا على مجرى الثورة الأمريكية (1776- ميلادي)، وعلى آراء زعمائها أمثال طوماس جفرسون "[2].

2- مصادر فكره :

"يعتبر جان جاك روسو من أنصار المذهب الطبيعي، حيث تمتد هذه الفلسفة إلى الفلسفات القديمة، لكن ظهورها كثورة ورد فعل على الفلسفات القديمة يرجع إلى القرن الثامن عشر، تهتم بحاضر الإنسان أكثر من مستقبله، لأن حاضره هو مفتاح المستقبل والطبيعة هي الحقيقة الوحيدة، فالعالم يخضع لقوانين تسير بنظام موزون قائم بذاته، كما تؤمن بالمجتمع القائم على المساواة والعدالة، ولا تؤمن بالمجتمع الطبيعي القائم على التحكم والظلم"[3].

معنى هذا أن جذور فلسفة روسو هي امتداد للفلسفة الطبيعية القديمة،وهذه الأخيرة تمثل نقطة مهمة في فكره السياسي وحتى التربوي.

"بحيث بنى روسو نسقه الفلسفي السياسي على نقد المبدأ الذي أقام عليه هوبس* نسقه

---

[1]– نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012، ص، 301.

[2]– فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، (د،ط)، دار الجبل، بيروت، 1985، ص، 101.

[3]- فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1، بستان المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، (د،ت)، ص، 16.

* - **توماس هوبس**، *T. Hobbes* (1582/ 1679)، فيلسوف إنجليزي دخل إكسفورد وهو في 15 من عمره أخذ يطالع الآداب القديمة وخاص، الشعراء والمؤرخين عمل في خدمة بيكون نقل مؤلفاته إلى اللاتينية له العديد من المؤلفات منها مبادئ القانون السياسي ، جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، ط2، دار الطليعة ، (د،ب)، 1997، ص، 708.

من جهة، وعلى نقد المبدأ الذي اعتمده لوك* في فلسفته من جهة أخرى ، وبالفعل رفض روسو فكرة هوبس القائلة "بأن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان "[1].

معنى هذا أن روسو قد بنى فكره السياسي من خلال نقده لهوبس، فروسو يرى أن الطبيعة البشرية خيرة بالفطرة، كما رفض ما جاء به لوك في المبادئ الفطرية.

"كان للعصر الفكري الذي عاصره روسو الأثر البالغ في تفكيره هو عصر التنوير الذي شهد إعلاء لسلطة العقل في الفكر الأوروبي، حيث اتخذ العقل البشري أداة ماضية لاكتساح الدين والخرافة والظلم، ولهذا فإن كتابات روسو جاءت أشبه ما تكون بالرد على التطرف في استخدام العقل، ولتؤثر على صفات البديهة الفطرية، وسمات النبل التلقائي وبساطة العيش"[2].

معنى ذلك أن العصر الذي عاصره روسو، أي عصر التنوير كان قد اعتبر الدين عائقا وعاملا من عوامل التخلف، لكنها أعلت من سلطة العقل البشري، و اعتبرته الممر الوحيد للخروج من الخرافة والظلم ،خاصة في الحياة السياسية والعلمية.

"لم يكن روسو مفكرا متميزا عن غيره من المفكرين، الذين هم نتاج التطور الفكري الذي وصلت إليه المجتمعات الإنسانية في صيرورتها الحضارية، ولكنه كان أفضل من عبر عن أوضاع فرنسا، التي سبقت الثورة الفرنسية، وبذلك فهو قد تأثر بالفكر الإنساني وأثر فيه، وقد كان لحلقات التاريخ الفكري للبشرية المتواصل، تأثير على حياته وفكره لكن ذلك لا يحجب عنه الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي الذي عاصره "[3].

لقد أعتبر روسو من بين الفلاسفة الذين تناولوا أوضاع فرنسا، وما حدث فيها ،وهو خير معبر لها، بحيث أن هذه الأوضاع أثرت فيه، وكانت سببا في بزوغ فكره السياسي والتربوي والاجتماعي.

---

* - **جون لوك *J. LOCK*** (1704/1632)، ولد بمدينة رنجيتون بإنجلترا كان أبوه محاميا مشهورا أرسل في سن الرابع عشر إلى مدينة وستمنستر وفي عام 1652 تلقى تعليم الأرثوذوكسية بإكسفورد وله العديد من المؤلفات من بينها الحكم المدني ، فؤاد كامل وآخرون ، الموسوعة الفلسفية المختص،رة، (د،ط)، دار القلم، بيروت (د،ت)، ص، 296.

[1] - مختار عريب ،الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا ،(د،ط)، دار الكنوز والحكمة، الجزائر، 2009، ص، 157.

[2] - محمد وقيع الله ، مدخل إلى الفلسفة السياسية، ،ط1، دار الفكر، دمشق، 2010، ص، 177.

[1] - إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص، 217.

"كان للعصر الفكري الذي عاصره، وهو عصر التنوير الأثر البالغ في تفكيـــره، إذ في ذلك العصر انفجرت عبقريات وعقول المفكرين، بما استطاعت إدراكه من أفكار كان لها الأثر الكبير، في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية"[1].

"في هذا العصر الذي كان عصر النقد بامتياز، حيث سلط النقد على كل شيء، إلـــى درجة أن كل النقاد سمو فلاسفة، مهما كان موضوع نقدهم، ثار روسو ضـــد كـــل القـــيم السائدة، و ضد تطور العلوم والإكثار من الثورة ضد مجتمع ظالم و مؤسســـات تعســـفية ضد تغيير طبيعة الإنسان ***(Denaturation)*** المتزايدة، وحذر معاصريه من خطر عـــدم الرجوع إلى البساطة الطبيعية، لأن هذا سيؤدي حسبه إلى هلاك البشرية، لإصلاح هـــذا الفساد اقترح روسو مشروعا فلسفيا ،يقوم على إصلاح كل جوانب الحياة في المجتمع"[2].

يعتبر روسو من أهم الفلاسفة الذين ثاروا ضد القيم السائدة في عصر الأنوار، وهذا لأسباب كثيرة، خاصة فيما يمس حياة الفرد والمجتمع، هذا ما دفع به إلى وضع مشـــروع فلسفي، يقوم على حماية الإنسان وإصلاح مفاسد المجتمع.

"أما على مستوى الحياة السياسية، فقد كان للفكر الإنجليزي أثره الواضح على أفكار روسو، خصوصا مسألة تخليص الشعوب من الحكم المطلق، الذي نادى به هوبز من قبل. ولكنه كان وفيا بالمبادئ أكثر منه، وعلى ذلك حمل روسو مهمة توعية الشـــعب، وحثـــه على أن السلطة والسيادة لا يمكن أن تكون إلا له وبه"[3].

"إن طباع روسو قد تأثرت بالوسط السياسي والاجتماعي ،الذي عـــاش فيـــه أثنـــاء طفولته الأولى ،كما تأثر بالتربية التي تلقاها منذ صغره، وبتكوينه الفردي وبتجربته فـــي الحياة"[4].

"بشكل عام يمكن القول أن تكوين خميرة أفكار روسو، تعود إلـــى عـــدة مصـــادر وعوامل: المجتمع الباريسي وأصدقائه ،الكتاب والفلاسفة في ذلك العصر، بالإضافة أيضا

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 217.

[2]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 156.

[3]- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص، 218.

[4]- فوزية رزيق، معالم فلسفة التربية عند جان جاك روسو على ضوء قص،ة إميل، مذكرة ماستر، (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012، ص، 18.

إلى الصراعات التي عاشها وخيبات الأمل أحيانا، وحلقات وخز الضمير من أمه إلى أولاده، كل هذه الأشياء كان لابد أن تؤثر في كتابات روسو"[1].

معنى ذلك أن روسو كان ملما بعلوم عدة ومتنوعة، بالإضافة إلى حياته القاسية التي عاشها منذ وفاة أمه وتركه لأولاده، هذا كان سببا كافيا في تأليفه العديد من المؤلفات خاصة "إميل" .

"كان روسو سيء الحظ، فعاش شريدا بائسا، ولعله كان لهذا أثر في عبقريته ووضع مبادئه، وعاش روسو في بيئة فاسدة قاسية، وكان لهذا عمل عظيم في نضج آرائه والكشف عن كثير مما يحيط به من المفاسد والشرور، والجهر بآرائه في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية، وكان روسو عليلا فآثر الحياة الهادئة على غيرها، فكان هذا عاملا في عمق تفكير"[2].

معنى ذلك أن حياة روسو التي عاشها، كان لها أثر بالغ في نشوء فكره، ونظرا للبيئة التي عاش فيها، جعل منه يكتشف العديد من الآراء والأفكار في شتى المجالات خاصة التربية والسياسة .

3- أهم آثاره:

"يوجد لكتب روسو معنيان: فيها ينفذ إلى الذهنية التي كانت سائدة للقرن الثامن عشر، وهي ذات أثر بالغ في حوادث أوروبا التي وقعت فيما بعد، وبهذه الكتب يمثل روسو في عالم الفكر السياسي مرحلة الانتقال، من النظرية التقليدية للدولة في القرون الوسطى، إلى الفلسفة الحديثة حول العالم"[3].

تعتبر حوادث أوروبا، ومختلف أوضاعها، البداية الأولى التي دفعت روسو إلى الكتابة في الفكر السياسي.

---

[1]- المرجع نفسه، ص، 21.

[2]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ترجمة، عادل زعيتر، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995، ص، 20

[3]- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة، عادل زعيتر ،(د،ط)، دار مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص، 9.

"كان لصدور كتاب "العقد الاجتماعي" لجان جاك روسو في سنة 1762 أثر قوي في مشهد الفلسفة السياسية، العام إذ تغيرت بالكلية، المنظورات التي كان ينظر منها إلى السيادة، والقانون ن والحق، والعدل، والدولة، والمواطن، والدستور، وتغيرت كذلك دلالة كلمة "شعب"، لا في حقل فقه القانون وعلم السياسة وحسب، بل في حقل الوجود والشعور أيضا"[1].

"العقد الاجتماعي": هو أهم مؤلفات روسو السياسية، وقد كان روسو مشغولا دائما بمسائل الدولة والحكومة، وكان قد بدأ في البندقية عام 1744 مؤلفا ضخما عن الأنظمة السياسية، "العقد الاجتماعي" جزء من هذا المؤلف الذي لم يستطع أن يكمله، وعندما نشر عام 1762 كان لابد أن يكون له تأثير عميق عن الأذهان ،وحسبته أن مؤلف"العقد الاجتماعي" أصبح في نظر جميع الجمهور، هو الأب الحقيقي للثورة الفرنسية"[2].

كان للعقد الاجتماعي أثر قوي، وصدى واسع لدى جمهور فرنسا، إذ أصبح يعبر عن الثورة التي عاشها هذا المجتمع، من حروب وغيرها من الأوضاع السياسية .

"في "العقد الاجتماعي" حمل روسو على الرق وعدم المساواة، وناضل عن حقوق الإنسان وأقامها على طبيعة الأمور، وقال إن هدف كل نظام اجتماعي وسياسي، هو حفظ حقوق كل فرد، وإن الشعب وحده هو صاحب السيادة، وكان روسو يهدف في "العقد الاجتماعي" إلى النظام الجمهوري، فتحقق هذا النظام بالثورة الفرنسية بعد ثلاثين سنة حيث اتخذ "العقد الاجتماعي" إنجيل هذه الثورة"[3].

إن هدف العقد الاجتماعي عند روسو، هو حماية حقوق الإنسان، خاصة حق الحياة والمساواة، والعدل بين الجميع، وقد جعل "العقد الاجتماعي" بالنسبة للمجتمع الفرنسي المرجع الأساسي لكل نظام سياسي، إذ أطلق عليه اسم إنجيل الثورة الفرنسية.

"أما "إميل" يعتبر في نظر بعض الكتاب قصة شعبية، فقد أقبل على قراءتها عامة الشعب وغالبيتهم، لا طبقة المفكرين وحدهم، وذلك لأن روسو جعل من التربية موضوعا

---

[1]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة، عبد العزيز لبيب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص، 11.

[2]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، مرجع سابق، ص، 299.

[3]- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص، 8.

شعبيا، يتحدث فيه الجادون والهازلون من الناس جميعا، وكتاب "إميل" هو الذي وجه الأنظار إلى التربية، وجعل الحكومات والشعوب جميعا يعتبرونها عملية قومية يجب أن تكون موضع العناية والرعاية، لا من الحكومات وحدها بل من الشعب أيضا"[1].

إلى جعل التربية موضوعا مهما في حياة الفرد، فقد أصبح هذا الكتاب مصدر لمختلف الأفراد والشعوب.

"وفي الحق أن كتاب "إميل" يعتبر فتحا جديدا في التربية، فكان له أثر كبير في توجيه نظرياته وأساليبها، واستحق أن يطلق على العصر الذي ظهر فيه "عصر الطفل" للاهتمام البالغ بالطفولة، ومطالبته بأن يكون الطفل هو مركز العناية والاهتمام، لا المادة كما الحال من قبل "[2].

"ولقد كان لروسو أثره البالغ في طريقة الحياة السائدة في أواخر القرن الثامن عشر فإليه يعود الفضل في تنبيه الكثيرين من الآباء إلى حاجات أطفالهم النفسية، كما رعى التمتع بالمحاسن الطبيعية، وساهم في تغيير أسلوب البستنة، وكان له قسط كبير في نقل أسلوب العلاقات الشخصية من الكبت المهذب، إلى الإفراط في علانية غير متحفظة"[3].

"كان لأفكار روسو تأثير قوي في فرنسا، وعلى أفكار الكثير في إنجلترا وأمريكا الشمالية وألمانيا .ومن أشهر تلاميذه في ألمانيا كان الفيلسوف عمانويل كانت ***(Kant)*** الذي عاصره. فقد شهد كانت أنه تعلم احترام الرجل العادي من قراءة كتب روسو، وقد رعرع كل منهما في نفسه احتراما كليا لعمل الواجب في المجتمع وللدولة"[4].

"ومن أسباب اهتمام روسو بالفكر التربوي: أنه رزق بخمسة أطفال وكان كل مرة يبعث بالطفل إلى مؤسسة الأولاد اللقطاء، لاشك في أن روسو ندم، في ما بعد، على ما فعل وذاق وخز الضمير، فقد قال في رسالة بعث بها إلى مدام لوكسمبورغ : "إن الأفكار التي أثارتها هفوتي في نفسي دفعتني إلى كتابة بحث في التربية ،حيث تجدين في الجزء

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة، نظمي لوقا، (د،ط)، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د، ب)، (د،ت)، ص، 11.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 10.

[3]- موريس فرادوارد، موسوعة مشاهير العالم، ج5، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 2002، ص، 61.

[4]- فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، مرجع سابق، ص، 100.

الأول مقطعا يدلك دلالة كافية على ذلك"...إن الرجل الذي لا يمكنه أن يقــوم بواجبــات الأبوة لا يحق له أن يصير أبا" .[1]

[4]- أندري كرستون، روسو حياته – فلسفته – منتخبات، ترجمة، نبيه صقر، ط4، منشورات عويدات، بيروت، 1988، ص، 31.

الفصل الأول:

معالم الفكر التربوي عند جان جاك روسو.

تمهيد .

المبحث الأول: التربية و الطبيعة عند روسو.

1- المطلب الأول: مفهوم التربية .

2- المطلب الثاني: الطبيعة و دورها في التربية.

المبحث الثاني: أسس و مبادئ التربية عند روسو.

1-المطلب الأول: المبادئ التربوية عند روسو.

2-المطلب الثاني: أهم الأفكار التربوية عند روسو.

المبحث الثالث : مراحل التربية عند روسو.

1- المطلب الأول : التربية الطبيعية والأخلاقية(من الولادة إلى الثانية عشر) .

2- المطلب الثاني : التربية الذهنية والدينية(من الثانية عشر إلى المراهقة).

تمهيد

يقال بأن روسو هو زعيم النزعة الطبيعية في الفلسفة عامة وفي التربية خاصة بحيث أن أفكاره هذه نجدها في مختلف مؤلفاته خاصة كتابه الأخير "إميل" الذي عرف في المجتمع الفرنسي بإنجيل التربية الحديثة ،حيث أن هذا الكتاب تناول منظومة تربوية شكلت نظرية متكاملة وذلك بمقتضى الطبيعة وهذه الأخيرة هي أهم فكرة في مشروعه التربوي وحتى السياسي، فما هي التربية وما دور الطبيعة فيها؟.

المبحث الأول : التربية والطبيعة عند جان جاك روسو:

1- المطلب الأول : مفهوم التربية

لو أردنا التكلم عن التربية عند جان جاك روسو، علينا أن نرجع إلى كتاب "إميل" الذي أعتبر أهم مؤلف في فترة حياته، وفي القرن 18 ،هو الكتاب الذي يحمل في صفحاته كل ما خص تربية الطفل*، حيث يتناول هذا الكتاب، أهم الأفكار التربوية، وأول عنصر نتكلم عليه، هو مصادر التربية عنده.

فروسو يرى أن مصادر التربية هي: الطبيعة والإنسان، والأشياء ،وأنه إذا لم تتلاءم التربية الصادرة عن هذه المصادر الثلاثة، ساءت تربية الفرد.

يقول روسو في هذا الصدد : " **التربية تأتينا إما من الطبيعة، أو من الإنسان ،أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلي ذالكم هو تربية الطبيعة، وما نتعلمه من الإفادة من ذلك النمو ذالكم هو تربية الناس، وما نكتسبه من خبرتنا عن الأشياء التي نتأثر بها فذالكم هو تربية الأشياء** ".[1]

ومن هنا نرى بأن روسو أولى للطبيعة مكانة لتربية الطفل، ثم الإنسان، وبعدها الأشياء ،باعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن يسيطر على الطبيعة، بحيث لا يمكن الانسجام في التربية، إلا إذا خضعت تربية الإنسان والأشياء للطبيعة معا.

---

* - الطفل، في اللغة الصغير من كل شيء ... وهو في الأصل للمذكر، وقد يستوي فيه الذكر، والمؤنث والجمع، ويطلق الطفل في علم التربية على الولد أو البنت حتى سن البلوغ، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج2، (د،ط)، بيروت، 1982، ص، 22.

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 26.

"ومن بين ضروب التربية الثلاثة، نلقى تربية الطبيعة خارجة عن إرادتنا ،وأما تربية الأشياء فلا تدخل تحت سلطاننا إلا بمقدار، وأما تربية الناس فتلك دون سواها مطوعة لنا بحق"[1]

"**إن الطبيعة خيرة وليس لنا أن نقاومها، أو نعارضها في تقدمها الفطري**" ولهذا نراه يترك "إميل" لتنمو فيه ،جميع الميول الطبيعية التي ولد بها، موقنا أن نمو تلك الميول فيه هو وسيلة السوي إلى الفضيلة، وأنه ليتطرف في هذا الصدد تطرف دعاة المتعصبين لمبادئهم دائما، حتى يأبى أن يحصن تلميذه ضد الأمراض ،إيمانا منه بأن الطبيعة ستتولى تحصينه منها "؟.[2]

هنا نجد روسو يعلي من شأن الطبيعة، ويعتبرها المنبع والأصل الذي يجب على الإنسان الطفل أن يعود إليها، ويترك في أحضانها، فهي الجديرة بتوجيه ميولاته، وغرائزه وأهوائه، ليصبح شخصا قادرا على تحمل الآلام، والأمراض، وغيرها من الصعاب لذلك يجب أن نوكل أمر تربيته إلى الطبيعة ذاتها، لأنها تريد أن ينمو الطفل نموا حرا وأن يعمل بمقتضى تكوينه الطبيعي، كون أنه طفل.

يقول روسو "**إن الطبيعة لا تعرف الإنسان الفرد المنعزل، ولكنها تعرف النوع والجماعة، وما تربية فرد ما إلا تشكيله بآداب مجتمع ما، وظروف ذلك المجتمع وقيمه أما تربية الفرد المنعزل المجرد عن ظروف الزمان والمكان، فوهم لو فرضنا تحققه ،لا خرج لنا نسخا لا يصلح لشيء ... وذلك هو عكس المقصود للتربية**".[3]

ومن هنا نرى أن التربية لا تكون بمعزل عن المجتمع ، باعتبار أن المجتمع هو الركيزة الأساسية في عملية التربية، وإذا كان الفرد منعزل عن الجماعة، ينتج لنا فرد غير صالح، ولكن العكس صحيح عند روسو، لأن أفضل تربية: هي التي تكون في الحالة الطبيعة، لأن الطبيعة خيرة، وخيرها يتدفق بالمطلق .

"قيل إن الطبيعة إن هي إلا العادة، فما معنى هذا ؟ ألا توجد عادات لا تتكون إلا قسرا، ولا تقتضي على الطبيعة مطلقا؟ خذ مثلا العادة التي تتكون عند النباتات حين يحال

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص،26.

[2]- المصدر نفسه، ص، 12 – 13.

[3]- المصدر نفسه، ص، 13.

بينه وبين اتجاهه الرأسي، ولكن حين يترك للنبات مطلق الحرية، يستمر في الاتجاه الذي أجبر عليه ..وكذلك ميول الناس فما لبث المرء على حالة، احتفظ بالعادات التي أقحمت على طبيعته، ولكن متى زالت تلك الحالة، انقطعت العادة وارتد الحال إلى الطبيعة، وما التربية يقينا إلا عادة ".[1]

معنى ذلك أن التربية في نظر روسو: هي عادة، ولكن أفضل عادة هي ألا يكون الطفل عادة، لأن تشكله ينبغي أن يكون من الطبيعة، لأنها وحدها الكفيلة والموجهة لغرائزه وميولاته، فهدف التربية الطبيعة: هو بناء فرد كما خلقته الطبيعة وكما تريده أن يكون.

روسو يتحدث عن عوامل التربية يقول "**أنها ثلاثة : طبيعة الطفل، ثم المعلم ،ثم الحياة نفسها، فطبيعة الطفل هي التي تساعد على نموه الجسمي، وعلى نمو حواسه وقواه العقلية، أما المعلم، فهو الذي يرشد ويوجه الطفل إلى ماينبغي أن يستخدم فيه ذلك النمو الطبيعي، وأما الحياة، فهي التي ترينا بما فيها من التجارب والخبرات**".[2]

ومن هذا فإن نجاح العملية التربوية يتطلب ثلاث: طبيعة الطفل، المعلم، وما تقتضيه الحياة، ومرة أخرى روسو يعطي أهمية للطبيعة، فهي البداية الأولى التي تساعده في بزوغ قدراته العقلية، ليأتي المعلم ويقودها حسب نموها الطبيعي في حياتنا اليومية.

2-المطلب الثاني: الطبيعة ودورها في التربية:

لا يستقيم البحث في نظرية روسو التربوية ولاسيما في التربية الطبيعية، دون العودة إلى مفهوم الطبيعة، لأن تحديد هذا المفهوم يشكل حجر الزاوية، في فهم معمق لأبعاد و اتجاهات نظرية روسو الطبيعية في التربية.

مفهوم الطبيعة: يعرفها جميل صليبا في معجمه: "الطبيعة هي القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليه جميع المعاني الفلسفية التي يدل عليها اللفظ ".[3]

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 27.

[2]- المصدر نفسه، ص، 7.

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج2، مرجع سابق، ص، 13.

إذا أردنا الغوص في الحالة الطبيعية عند روسو، سنذهب إلى مقولته الشهيرة التي بدأبه كتابه"إميل": "**يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال**"[1].

معنى هذا أن الطبيعة خيرة وخيرها يتدفق بالمطلق، وعلينا أن نؤمن بها ،ولأنها ليست من صنع البشر، لأن كل ما يمسه الإنسان هو زائل لا محال .

يقول روسو : "**أيها الإنسان، من أي قطر كنت، ومهما كانت آراؤك، إسمع: هاهو تاريخك كما اعتقدت أني قرأته، ليس في كتب أمثالك الذين هم كذابون، وإنما في الطبيعة التي لا تكذب مطلقا، إن كل ما سيكون منها، سيكون صحيحا، ولن يكون فيه من خطأ إلا ما سأخلطه فيه من عندي دون أن أريد ذلك**"[2].

"ميز روسو بين إنسان الطبيعة (كما خرج من يد صانعه) وإنسان الإنسان، كما شكله المجتمع بوساطة التربية والتعليم، عبر نشر العلوم وتلقين الفنون، سعيد بطبعه، شقي بثقافته نجاته في نبذ الزخارف المكتسبة، والعودة إلى براءته الأولى".[3]

ومن هنا يميز روسو بين إنسان الطبيعة، وهو الذي خلقه الله ، وبين إنسان الفرد الذي شكله المجتمع، من عدة نواحي، فغرائزنا وميولاتنا الأصلية، وما فطرنا عليه من قوى داخلية منحتنا إياها الطبيعة، وهذا ما يمثل الطبيعة الإنسانية، وهذه الطبيعة خيرة بكل جوانبها، لأنها من صنع الخالق وليست من صنع البشر .

يقول روسو: "**راقبوا الطبيعة وانظروا كيف تبين لكم السبيل، فإنها تعمل على تمريس الأطفال بالأحداث والأشياء، وتعلمهم منذ البداية كيف يكون الألم**".[4]

تبقى الطبيعة في نظر روسو الأم التي تحمي ابنها، فهي تعتني به، منذ ولادته فالطبيعة هي الطريق الذي يجعل الطفل متمكنا في حياته، فالتربية الطبيعية هي تدفق

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 24.

[3]- نقلا عن، فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الحديث، (د،ط)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008، ص، 478.

[1]- جان جاك روسو، دين الفطرة، ترجمة، عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012، ص، 9.

[4]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إل الرشد، مصدر سابق، ص، 38.

للحب، والحنان،لأن الطفل يبقى طفلا قبل أن يكون رجلا، لذلك يجب أن تتاح له الفرصة ليتمتع بهذه المرحلة.

المبحث الثاني: أسس ومبادئ التربية عند جان جاك روسو.

1- المطلب الأول: المبادئ التربوية عند روسو.

أول هذه المبادئ مبدأ براءة الطفل التامة، إذ يبتدئ كتاب "إميل" بهذه العبارة الرنانة "**كل ما يخرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خير، وكل شيء يفسد بين يدي الناس** "ويقول في مكان آخر " **لنؤمن إيمانا لا مرية فيه بأن الحركات الأولى للطبيعة هي دوما قوية رشيدة وما من فساد أصيل في القلب البشري**"[1].

معنى هذا أن طبيعة الطفل خيرة، ولا تمتاز بالشر، وما قد يفسده هو طبائع الناس الشريرة، لهذا كان علينا حماية الطفل من هذا الأثر السيئ، الذي قد يتعرض إليه، لذلك يجب أن يربى الطفل وفقا لقوانين الطبيعة، لأن جل الانفعالات والغرائز الطبيعية هي أصدق أساس للعمل والتفكير.

"إن إميل ابن الطبيعة، تربية الطبيعة، وفق قواعد الطبيعة، لإرضاء حاجات الطبيعة ونحن لا نقع على هذه السفسطة عرض في صدر الكتاب فحسب، بل هي في جوهره الأمر الذي يجعل الخطة التربوية، التي يرسمها روسو، إذا جردناها عن ذلك الجسم من الأفكار والمبادئ التي تهب لها فائدة قوية كبرى، لا تعود أن تكون خيالا خطرا"[2]. ومن هذا فإن الطبيعة تريد أن يكون الطفل موضع، الاهتمام، والتركيز عليه ، فهي أم إميل التي تربيه وتعلمه وفق قواعدها ومبادئها.

"الإيمان ببراءة الطفل، وهو تأكيد لاعتقاده بخيرية الطبيعة البشرية، الإعلاء من شأن الطبيعة، فالطبيعة يتعلم منها الإنسان ما يحتاج، والتربية الصحيحة: هي السير وفق قوانينها، مبدأ الحرية، ترك الطفل يتدبر أمره بنفسه، يحمله على التفكير، واكتشاف المفاهيم والحقائق، مبدأ التربية السلبية : ألا نعلم الطفل شيئا لا يطلب تعلمه، فترك له

[1]- عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، (د،ط)، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص، 378.

[2]- المرجع نفسه، ص، 378.

الحرية في الحركة، والاحتكاك، واكتشاف الخبرة العملية، مبدأ معاملة الطفل، كطفل لا كراشد ،وأن ميوله وخصائصه يجب أن تكون محور العملية التربوية".[1]

يؤكد روسو على أن أهم مبدأ يربى عليه الطفل، هو الطبيعة، فهي مصدر حاجياته ورغباته، وإذا مشى الطفل وفق قوانينها كانت تربيته صالحة، وكما يقول بأنه علينا أن نعطي للطفل حريته، فهذا يساعده على التفكير المستقل في البحث عن المعرفة، وهذا بمعاملته معاملة الطفل لا الراشد.

"إن طبيعة الطفل خيرة وليست شريرة، يجب احترام ميول الطفل الخاصة، في اكتساب المعرفة، واستبعاد دور العلم ما أمكن ذلك. تقسيم التربية إلى مراحل تتناسب مع عمر الأطفال، لأن طبيعة الطفل هي التي تحدد نوع التربية الممكن العمل على فهم طبيعة الطفل ودراستها، ورصد مكوناتها لكي تستقيم العملية التربوية" .[2]

إن الطفل منذ ولادته يولد وهو خير، وذلك وفق ما بثته فيه الطبيعة، لذلك يجب أن تقسم التربية وفق أعمار الأطفال، منذ ولادتهم، وهذا ما ينجح العملية التربوية في صلاح الفرد، لذلك يجب عدم التسرع في العملية التربوية، وعلينا أن نعطي الطبيعة وقتها في أداء وظيفتها، نحو الطفل حتى تكون تربية سليمة ومناسبة .

2- المطلب الثاني: أهم الأفكار التربوية.

يعتبر كتاب "إميل" أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، من أهم الكتب التي تعكس عبقرية روسو وفطنته، كون أنه أوضح فيه آراءه التربوية عن المجتمع والتربية، وقد احتوى هذا الكتاب صورة واضحة للتربية المضطربة، التي كانت تخلو من كل نظام حيث كانت آراؤه التربوية من خلال "إميل" ، تعبيرا عن آراء الفلسفة في الطبيعة البشرية.

"قسم روسو حياة تلميذه التعليمية إلى ثلاث فترات، فترات اثني عشرة سنة طفولة وثماني سنوات صبى، وعمر غير محدود، للإعداد للزواج والأبوة، وللحياة الاقتصادية والاجتماعية، ففي الفترة الأولى يكون التعليم كله تقريبا بدنيا وخلقيا، وعلى الكتب والتعلم

[1]- فوزية رزيق، معالم فلسفة التربية عند جان جاك روسو على ضوء قصة إميل، مرجع سابق، ص، 74 – 75.

[2]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو، مجلة التنوير، www .civiceg gpt.org، 12،16، 21/4/ 2012.

من الكتب ...فتربية الجسم يجب أن يشرع فيها أولا، ومن ثم يربى "إميل" في الريف، لأنه المكان الوحيد الذي يمكن أن تكون الحياة فيه صحية طبيعية".[1]

"الواقع أن أي محاولة إصلاح تبدأ من الناشئ، أي الأطفال باعتبارهم نواة المجتمع الأولى، لأن غرس المبادئ والأخلاق في نفوس الناشئ، هي الركيزة التي تكون المجتمع الصالح، وقد حرص روسو أن يوضح، لنا كيف أن الأفكار الواردة في "إميل" مكملة لمبادئه ومتمشية مع فكره، يقول: روسو حول "إميل" " لقد تتبعت بكل جهدي خيط تأملاته فوجدت فيها جميعا نمو مبدئه العظيم، وهو أن الطبيعة جعلت الإنسان سعيدا، و طيبا ولكن المجتمع يفسده ويجعله تعيسا ".[2]

ومن هذا فإن أهم فكرة تربوية تكلم عنها روسو، أن "إميل" الطفل صالح بالفطرة وهو عماد المجتمع وأساسه، بحيث أن فساده يكون من المجتمع، وصلاحه يكون من الطبيعة.

في الحالة التي انتهت إليها الأمور الآن، فإن إنسانا يترك وحده منذ ولادته، وسط الناس يصبح أكثرهم تشوها، وفسادا، إن المعتقدات الباطلة والسلطة، والضرورة، وكل الأنظمة الاجتماعية التي نجد أنفسنا منغمسين فيها، تخنق فيه الطبيعة ولا تضع محلها شيئا[3].

معنى هذا أن كل شيء خلقه الله، فهو صالح بالفطرة، وأن أهم ما يجعل "إميل" شخصا صالحا، هو ابتعاده عن المجتمع، كما أن أهم مرحلة يعيشها "إميل" هي مرحلة الطفولة، فهي قاعدته الأولى ليكون فردا ناجحا متميزا عن غيره.

إن أهم ما تضمنه كتاب "إميل"، في العملية التربوية، هي أن الطبيعة خيرة، وأن كتاب الطبيعة هو ما يجب أن ينشأ الطفل على دراسته، و أن الشر والفساد من صنع البشر، وقد رأى روسو، أن التربية يجب أن ترتكز على ما هو حسي، وعلى ما يسمى بالخبرة والممارسة العملية، عكس ما هو مجرد .

---

[1]- ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة روسو والثورة، ترجمة فؤاد اندراوس، ج1، مجلد 10، دار الجيل للطباعة، (د،ط)، بيروت، (د،ت) ص،، 295-296

[2]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، مرجع سابق،ص، 323 .

[3]- المرجع نفسه، ص، 325.

المبحث الثالث : مراحل تربية الطفل (إميل)

1-المطلب الأول : التربية الطبيعية والأخلاقية (من الولادة إلى الثانية عشر) .

من خلال كتاب "إميل" نلاحظ أن المبدأ الأساس في تشكيل الطفل عند روسو: هو الطبيعة، حيث أنه نادى بالعودة للطبيعة، والعودة لفطرة الإنسان التي فطر عليها، كما يرى بأن النزعة الطبيعية هي الحياة، فروسو يدعو إلى ضرورة ترك الطفولة تنضج في الأطفال، وأول ما سنتكلم عليه : هو التربية الطبيعية، التي تشمل على واجب الأب وتخيير المؤدب والمرضع، والاهتمام بالتربية النفسية.

"يقرر روسو في مؤلفه "إميل"، أن الطفل ينمو نموا طبيعيا، تبعا لمراحل محددة ومضبوطة وثابتة، سنتها الطبيعة وفق قانونها العام، وهذا النمو يطال الجانب الفيزيقي والجانب، العقلي والجانب الوجداني، ويتم بشكل متواز ف"مع نمو قوة (الأطفال) تنمو معرفتهم، بحيث يكونون قادرين على استخدام قواهم وتوجيهها، وبهذا تبدأ بصورة دقيقة حياة الفرد، إذ يبدأ عندئذ وعيه بذاته"، وعليه فالتربية عليها أن تتوافق وتحترم المسير الطبيعي لنمو الطفل".[1]

معنى هذا أن روسو يقر بأن الطفل الذي ينشئ على الطبيعة، والطريقة الحرة هو الأصل لمجتمعه، بحيث يكون نموه ملما لجميع جوانبه، سواء العقلية أو الوجدانية وغيرها.

"يثور روسو كذلك في وجه عادة أخرى شائعة، هي تسليم الأطفال لمرضعات مرتزقات. ويهيب بالأمهات للقيام بواجبات الأمومة، مبينا أبلغ بيان أنه إذا، لم يكن ثمة أم لم يكن ثمة أسرة، ومما يقوله " إذا أردتم أن تعيدوا كل إنسان لواجباته الأولى، عليكم بالبدء بالأمهات، وستعجبون لما تحدثونه من تغيرات .." [2]

ومن هذا فإن أهم مرحلة لتربية الطفل طبيعيا، هي وجود الأبوين ، فهما الأكثر قدرة على أن يمنحا الطفل الحنان الطبيعي، والضروري لنموه إنسانيا وأخلاقيا، وعل نحو طبيعي، خاصة اللبنة الأولى وهي الأم، التي تساعد ابنها في مراحله الأولى من النمو، كما

[1]- خاليد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، نقد وتنوير، العدد 1 ، المغرب، 2015، ص، 239.

[2]- عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص، 381.

تكلم روسو عن دور الأب، الذي يعتبر الركيزة الثانية في العملية التربوية، فالأب هو المعلم الطبيعي، والأم هي حاضنته، وإذا لم يكن الطفل بين أحضان أبويه، فإنه سيفقد العاطفة والحنان.

"ويناشد روسو الأم الرؤوم، الحنون، أن تلتفت إلى واجبها وترعى طفلها، وتنشئه نشأة حسنة، وتحيط روحه بسياج من التعاليم، التي تقيه شر الانحراف والفساد المتفشي في المجتمع ".[1]

في هذه المرحلة الطبيعية، يرى روسو أنه من المهم أن يربى الطفل بين أحضان والديه دون غيرهم، فهذا يساعد الطفل على النمو الجيد، والتربية الحقة، كما أنه يوازي بين الأم والأب في تربيتهما للطفل.

يقول روسو : "**افتريدون أن يحتفظ الطفل بصورته الفطرية ؟ إحفظوها عليه إذن منذ قدومه إلى هذه الدنيا، متى ولد، الزميه أيتها الأم الزمه أيها الأب ولا تفارقيه مطلقا إلى أن يستوي رجلا، ولن يكون فلاحه إلا من هذا الطريق، وكما تكون المرضع أم الطفل الحقيقية، يكون المؤدب أباه، فيجب أن يكون توافق بين قيام المرضع والمؤدب بمهمتهما، سواء في الترتيب أو المنهج، حين ينتقل الطفل من يدها إلى يده**".[2]

هنا روسو يدعو إلى التوافق، بين الأب والأم في أداء واجبهما في تربية الطفل وبهذا يكون الطفل في أحسن صورة.

كما يقول أيضا : "**ستكون فطرته كنبتة لها المقادير أن تنبثق في عرضه الطريق فتدوسها أقدام السابلة، وهم يدهمونها من كل صوب، ويرتطمون بها في كل اتجاه، إني أتجه إليك أنت بالخطاب أيتها الأم الحصيفة الحنون، التي عرفت كيف تتنكبين الطريق المطروق، وتحمين النبتة الباثقة من عتو المواضعات البشرية**".[3]

إن أهم ما يساعد الطفل على النمو، هو أن تكون له أم حنون، توجهه إلى الطريق الحق، وتعلمه لكي يكون قادرا على الخوض في صعوبات الحياة، و يوصي روسو أيضا

---

[1]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، روسو، حياته مؤلفاته غرامياته، مرجع سابق، ص، 325.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 41.

[3]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد ، مصدر سابق، ص، 24-25.

على ضرورة اختيار مربي"إميل"، كما يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط، ليربـــى الطفل على أكمل وجه ، لأن الطفل في هذه المرحلة يجب أن يربى بحذر شديد.

"إن تربية الرجل تبدأ منذ مولده، فهو يتعلم قبل أن يتكلم، وقبل أن يفهـــم، فالتجربـــة هي التي تمده بالدروس، وعندما تراه يعرف مرضعه، فهو قد عرف شيئا كبيـــرا، وأنـــك لتعجب من معارف الرجل مهما كان جاهلا، لو أنك تتبعه منذ لحظة ولادته، إلى اللحظـــة التي وصل إليها ".[1]

يقول روسو "**العادة الوحيدة التي يجب أن ندع الطفل يكونها،هي ألا تكـــون عـــادة ثابتة، فلا نحمله على إحدى الذراعين دون الأخرى، ولا نجعله يمـــد إحـــدى يديـــه دون الأخرى، أو أن يستعمل إحداهما أكثر من الأخرى، ولا أن يأكل أو أن ينام أو ينشط فـــي ساعات بعينها، أو يعجز عن المكث وحده ليلا أو نهارا**".[2]

إن أهم ما يجب أن يربى عليه الطفل، هي أن نجعله نشطا متنوعا فـــي اختياراتـــه لذلك علينا أن نتركه على حريته ، فهذه المرحلة من أهم مراحل التربية وأخطرها.

"المرحلة الثانية تبدأ من سن الخامسة، لتنتهي عند سن الثانية عشر، وفيهـــا تتحقـــق للفتى خبرة قوية بالعالم الخارجي، بعد أن يكون جسده قويا، إلى درجة احتمال تلك الخبرة وللوصول إلى هذا، يجب أن يمضي الفتى معظم وقته في البرية والريف، محتكا في شكل مباشر بالطبيعة، عاملا على تنمية أحاسيسه وأعضائه، مستخدما إياها من أجـــل إرضـــاء رغباته كلها، في تلك السن ...وهو بهذا يتعلم كيف يصل إلى الاستنتاجات الجيدة ،انطلاقا من خبراته الشخصية، ما يؤهله لاستخدام عقله بأفضل ما يمكن" .[3]

وهنا يرجع روسو مرة أخرى إلى الطبيعة، لأنها أهم شيء يستطيع أن يسير حيـــاة الطفل، حيث أنه ركز على الريف، وكل ما يرتبط بالطبيعة، لأنها تساعده على الوصـــول إلى أحاسيسه، وإرضاء رغباته، وبهذا يستطيع أن يؤهل عقله لحياته القادمة.

---

[1]- المصدر نفسه ، ص، 63.

[2]- المصدر نفسه، ص، 64.

[1]- إبراهيم العريس، ألف وجه لألف عام إميل أو التربية روسو يضع أسس النمو الإنساني، مجلة الحياة السعودية، العدد 14، 2003، ص،14.

"وهنا تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الحياة، وتنتهي مرحلة الطفولة الأولى، التي هي الطفولة بمعنى الكلمة، ولكني سأستخدم لفظ الطفولة جريا على لعادة المألوفة، للكلام عن هذه المرحلة، التي عرف الطفل فيها الكلام، والمشي وطريقة الأكل".[1]

يرى روسو أن مرحلة التربية الأخلاقية ثاني المراحل، التي يمر بها الطفل، وهنا تنتهي طفولته أو صغره، ويبدأ في حياة جديدة .

يقول روسو : "**ومع نمو قوتهم تنمو معرفتهم، بحيث يكونون قادرين على استخدام قواهم وتوجيهها، وبهذا تبدأ بصورة دقيقة حياة الفرد، إذ يبدأ عندئذ وعيه بذاته، وتقوم الذاكرة بمد الشعور بالأنية إلى جميع لحظات حياته، فيغدوا شخصا واحدا، بمعنى الكلمة هو عين ذاته دائما، ويكون بالتالي قادرا على الشعور بالسعادة أو الشقاء، ويكون من المحتم أن نعتبره منذ ذلك الحين كائنا أخلاقيا** "[2]

ومن هذا فإن الطفل إذا نمت قوته وأفكاره، يكون قادرا على المشي قدما في معرفة الحياة ، وما تتطلبه ، ونجد أن هذه المرحلة، من أهم المراحل لدى روسو، لأن الطفل يستطيع أن يستخدم عقله وشعوره، ليكون بذلك إنسانا أخلاقيا.

"يؤكد روسو، أن غالبية قواعدنا الأخلاقية مبنية على تناقض، والوصية الوحيدة التي تناسب الأطفال من كل الوجوه، هي ألا يسيئوا إلى أحد، فإن جميع الناس يفعلون الخير أحيانا، ولكن القليلين منهم جدا هم اللذين لا يسيئون إلى أحد مطلقا، وهؤلاء وحدهم هم الفضلاء بمعنى الكلمة".[3]

ومن هذا فإن روسو يدعو إلى تربية الطفل،على أساس الفضيلة والأخلاق الحسنة وعلى عدم الإساءة إلى الآخر.

"سيحتاج الطفل إلى التربية الخلقية، فبغيرها يصبح إنسانا خطرا تعيسا، ولكن لا نعظه، فإن أردت لتلميذك أن يتعلم العدل، والرحمة، كن أنت عادلا رحيما، فيقلدك " القدوة

[1] - جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 76.

[2] - المصدر نفسه، ص، 79.

[3] - جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق ، ص، 112.

القدوة ! فبدونها لن تنجح في تعليم أي شيء للأطفال "... فالخير والشر (من وجهة نظر المجتمع) كلاهما فطري في الإنسان، وعلى التربية أن تشجع الخير وتثبط الشر" .[1]

يؤكد روسو على أن التربية يجب أن تمس أخلاق الطفل، وعلينا أن نعامله معاملة جيدة، ولا نرغمهم على فعل أي شيء، بمعنى أن نتركهم يعيشون طفولتهم، وأن لا نعاملهم على أنهم كبار، فأهم شيء في التربية أن يعيش الطفل صغره بحرية تامة وبأخلاق جيدة وفاضلة .

"التربية الخلقية، يجب أن تكون عن طريق الجزاء الطبيعي، فعندما يسقط "إميل" يتألم وعندما يتخم يعاني من الألم، وعندما يخرج في ليلة باردة يصاب بالزكام، وعندما يضع يده على مكان لاهب يشعر بألم الحرارة ووخزها، وفي كل هذا يجب أن يشعر الطفل بأن العقاب الذي استحقه كان عقابا طبيعيا، ينبع من طبيعة الأشياء ذاتها، وأن هذا العقاب لم يكن انتقاما أو إكراها يمارسه الكبار".[2]

معنى هذا أن كل ما يطرأ على الطفل، من آلام فهو شيء طبيعي تحدثه الطبيعة فهي تساعده على التعود، والتحمل، وتبث فيه القوة، ليكون شجاعا، وقادرا على مواجهة الصعاب

يقول روسو : "**لا ينبغي أن يعرف الطفل ما هي الطاعة حين يعمل، ولا ما هو التسلط، حين نعمل نحن من أجله، بل يجب أن يشعر بحريته في أفعاله، وفي أفعالنا على السواء، ولا تضف إلى ما ينقصه من قوة إلا بمقدار ما يحتاج إليه، بالضبط كي يغدوا حرا لا متسلطا.**" [3] يؤكد روسو أن الطفل يحتاج إلى أكبر قدر من الحرية، سواء في تصرفاته، أو في أفعاله، لكي يكون على طبيعته، لا أن يكون مقيدا، فيصبح متسلطا متكبرا .

2-المطلب الثاني : التربية الذهنية والدينية (من الثانية عشر إلى المراهقة) .

"التربية من سن الثانية عشر إلى الخامسة عشر، في هذه المرحلة تبدأ عملية تعليم "إميل"، لأن مرحلة الغفوة والشباب قد انتهت، وقد اكتملت "لإميل" أسباب التعلم بعد أن

---

[1]- ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة روسو والثورة، مرجع سابق، ص، 297 – 298.

[2]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية .

[3]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 84.

نضجت ملكاته الطبيعية، وبعد أن غمرته الطبيعة، وسوته وهيأته، ليلقى المعرفة الإنسانية وما تنطوي عليه من قيم، ومعايير ثقافية، لقد آن الأوان لتعليم "إميل"، وتـــزوده بالمعرفـــة والمعلومات والمعارف، وفي هذه الفترة كما يقول روسو تزداد فيها قوة الفرد علـــى مـــا تحتاج إليه".[1]

بعد انتهاء مرحلة الطفولة والشاب، تأتي مرحلة نضوجه العقلي، بعدما كانت الطبيعة قد هيأته لذلك، وهنا يصبح "إميل" مستعد لأن يلقن ويزود بالمعارف، وتـــزداد احتياجاتـــه بكثرة.

"ومن الثانية عشر إلى الخامسة عشرة، يتثقف الفتى بالمعارف الطبيعية، وذلك بـــأن يتصل بالأشياء مباشرة، وأن يصل بالملاحظة الشخصية، إلى استكتشاف الضروري لـــه في العلم، والفن فيعلم أشياء من الفن والجغرافيا والطبيعة والكيمياء، فـــلا يلقـــن دروســـا شفوية، ولا يسمح له بمطالعة الكتب، فإنها جميعا لا تعلمه إلا ألفاظا"[2].

ومن هنا فإن "إميل" يصبح أكثر وعيا، بحيث أنه يتعلم أنواعا من العلـــوم، ليتثقـــف وتزيد خبرته، وهناك أنواع من العلوم يجب أن يتعلمها: مثل الفلك والجغرافيا والكيميـــاء وغيرها من العلوم ، كما لا يسمح له بقراءة الكتب، فهي غير نافعة، وتعلمه الألفاظ وفقط

يقول روسو: " **سوف لا أعلمه بنفسي، فكل مهمتي أن أضع قدمـــه علـــى طريـــق المعرفة السوي، ومتى تبين أن عليه تحصيل ما يريد من العلم، فسوف يستخدم عقله، لا عقل سواه من الناس في ذلك السبيل، وسأعلمه أن من الخطأ الاعتماد على السماع من الناس، أو تلقين المعلمين، فمعظم أخطائنا تأتينا من هذين الطريقين، ولا شك أن عقلـــه يستفيد من ذلك التمرين فائدة عظيمة، كما تستفيد العضلات بممارسة الرياضة، وبهـــذه الطريقة لن يحمل ذهنه من المعلومات، إلا ما يقدر على حمله فعلا**[3].

هنا يؤكد روسو على أن يترك المربي "إميل" يتعلم بنفسه ، فعندما يحســـن اســـتخدام ملكاته العقلية، سيجد طريق العلم والمعرفة، وعلى المربي أن يوجهه ويعلمه أن لا يســـمع الناس، وأن يعتمد على ذاته، لا على الغير، ففي نظر روسو أن أخطاءنا تأتينا من الناس.

---

[1]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية .

[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص، 205.

[3]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 174.

" ويرى روسو أنه من الضروري، أن تنطلق تربية هذه الملكات من ما هو محسوس وملموس، فمعارف الأطفال مجالها الحواس : الطفل لا يفكر إلا بطريقة ملموسة، ولا يستطيع أن يرتمي بفكره في المستقبل المجرد، لأن عالمه المدرك هو عالم الحاضر الحسي ولما كانت الحساسية شرطا لتنمية الذكاء في الأطفال، كان الانطلاق من تنمية حواس الطفل شرطا لذلك"[1].

ومن هذا فإن "إميل" عليه أن ينمي ملكاته العقلية، انطلاقا من ما هو محسوس أي الرجوع إلى الطبيعة، فهي منبع عالمه الحسي المدرك.

يقول روسو : " **هاهو فتانا أوشك أن يفارق الطفولة تماما، وقد شعر أكثر من ذي قبل بالضرورة التي تربطه بالأشياء، وبعد أن يتدرب جسمه وحواسه، قمنا برياضة فكره وتمييزه، وأخيرا ألفنا بين عمل أعضائه وعمل ملكاته، فجعلنا منه كائنا عاملا مفكرا، ولم يعد أمامنا كي تتم تكوين الرجل إلا أن نجعله كائنا محبا معقولا، أي أن نعمل على تكوين عقله بعواطفه** ".[2]

معنى ذلك أن الطفل في انتقاله من مرحلة إلى أخرى، أصبح قادرا على اكتساب مهارات، تختلف عن ما اكتسبه في مراحله الأولى، وهذا ما جعله يدرك المعاني والأفكار، إذ أصبح أكثر قابلية في تكوين عقله .

ويقول روسو أيضا : " **وله هو أن يختار، فليس ذلك من حقه، وسيهتدي بما قرأه في كتاب روبنسون كروزو، إلى اختيار مهنة مما احتاج أن يتعلمه، ويسهل عليه الاختيار، لأن تربيته الأولى ساعدته على تمرين عضلاته وحواسه، فسوف لا يلزمه سوى وقت قصير لإتقان تفاصيل المهنة، ولذا أتمنى أن يختار "إميل" مهنة النجار، فهي مهنة نظيفة نافعة، يستطيع أن يمارسها في البيت، ومنشطة للجسم وتحتاج لمهارة ودقة وشيء من الذوق** ".[3]

يرى روسو أن "إميل" عليه أن يختار مهنة تساعده في حياته، وخير مهنة هي النجارة لأنها ستمنحه القوة وتساعده على تنشيط جسمه، وتعلمه معنى الذوق .

---

[1]- خاليد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، مرجع سابق، ص، 141.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 172.

[3]- المصدر نفسه ، ص، 170.

ومن الأمور التي يجب أن يتعلمها "إميل"، التحكم في نفسه يقول روسو: "**وبمجرد أن يبدأ الطفل في التفكير والتعقل، يجب أن نحول بينه وبين مقارنة نفسه بسواه من الأطفال، لأنه لن يجني من ذلك إلا إحدى سيئتين : إما الحسد وإما الغرور، فليكن هو معيار نفسه فذلك وحده أنفع وأجدى** ".[1]

معنى ذلك أن الطفل منذ البداية في التفكير واستخدام عقله ، عليه أن يكون نفسه دون الاستعانة على الآخرين، لأن ذلك لم يعد عليه بالإيجاب، وعليه يجب أن يكون مفتاح نفسه ويحقق بواسطته، ما هو أنفع وأجدر إليه.

وفي هذا يقول روسو : " **إذ يجب، أن أدرب "إميل على تصحيح أحكامه حواسه بالمقارنة بينهما، وبهذه الطريقة يتعلم الحكم العقلي والتمييز الذهني، وتتكون لديه المعاني، وسيكون ذلك التدريب بواسطة تجارب مبسطة، بحيث يفطن من تلقاء نفسه إلى خطأ الحكم الظاهري ويستخدم التمييز العقلي** "[2]

في هذه المرحلة يتعلم "إميل" أمورا كثيرة ،بحيث تساعده على نضجه العقلي، وهنا يصل إلى إدراك المعاني، ويتعلم الخطأ من الصواب.

"المرحلة الأخيرة يتخذ "إميل" دينا يعرضه عليه قسيس يلقاه في سفره، وسيستشيره هو في الأمر، وعقائد هذا الدين هي التي ذكرناها، وهي طبيعة بحت، لا تستند إلى وحي من حيث إن في الوحي افتئاتا على حقوق الشخصية"[3].

"في هذه المرحلة تنمو استعدادات "إميل" وقدراته على التكيف مع الآخرين، والحياة الاجتماعية، وقد آن الأوان ليصبح "إميل" كائنا اجتماعيا، فاعلا ومشاركا في دائرة الحياة التي تنتظره في المجتمع، ومن أجل هذه الغاية يتوجب علينا أن ندربه على العلاقات الاجتماعية، والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين، في هذه المرحلة ليكون "إميل" قد اكتمل نضجه جسديا وحسيا وعقليا، وقد آن الأوان لكي يتشكل عاطفيا وروحيا".[4]

---

[1]- جان جاك روسو،إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 162-163.

[2]- المصدر نفسه، ص، 173.

[3]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص، 205.

[4]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية.

ومن هذا فإن "إميل" أصبح بمقدوره أن يتكيف مع المجتمع، وما يفرضه عليه من معايير، وفقا لما تربى عليه، حيث تكون هذه المرحلة مبنية على الأخلاق، والدين خاصة.

يقول روسو: " **لم يعد "إميل" طفلا، والمراهقة تبدأ بنذر من التغيرات في المزاج وفي الشكل وفي سحنة الوجه، فهذا هو الأوان الذي توشك أن تظهر فيه الأهواء، ولا بأس بالأهواء في حد ذاتها، فهي الوسائل الرئيسية لحفظ الذات وحفظ النوع**" .[1]

هنا يؤكد روسو أن "إميل" قد دخل في فترة المراهقة، وبدأ حياة جديدة، بدءا من شكله إلى غير ذلك، ويرى بأن هذه المرحلة هي مرحلة الأهواء، والرغبات، بحيث يرى أنها المرجع الرئيسي التي تحافظ على ذاته كفرد.

"في هذه المرحلة أيضا تبدأ إمكانية بناء صلة دينية بين "إميل" وربه، وتتوجب تربيته الدينية على قيم الحق، والخير والجمال، فالطفل يمتلك القدرة في هذه المرحلة على فهم أمور الدين، ويمكنه أيضا أن يدرس البلاغة والتاريخ والمسرح، لأن هذه المرحلة تمكنه من تذوق الفن، والاستمتاع بالقراءة والمطالعة "[2].

ومن هذا فإن "إميل" أصبح بإمكانه أن يتوجه إلى الدين، ويتعلم القيم التي يقوم عليها كالخير، والحق وغيرها، لأنه في هذا العمر يمتلك رصيدا من المعرفة، حيث أن هذه الأخيرة راسخة في القلب، كما يستطيع أن يتوجه إلى القراءة ودراسة التاريخ والمسرح وكل ما قد يساعده في هذه الحياة .

يقول روسو :" **فالطفل كما قلت مائة مرة لا يتصور إطلاقا ما يحسه الآخرون، ولا يعرف آلاما غير آلامه، ولكنه متى بدأ نمو الحواس يذكى فيه نار المخيلة، يبدأ بالإحساس لما يعانيه نظراؤه، ويتأثر لشكواهم ويتألم لآلامهم، وعندئذ يجب أن تصل إلى قلبه صورة البشرية الكسيفة وتحمل إليه أول إحساس بالعطف والحنان، وبذلك تتولد لديه الشفقة التي هي أول شعور رابط يمس قلب الإنسان، ولكي يغدو الطفل ذا حساسية ورحمة يجب أن يعلم أن له نظراء يعانون مثل ما عاناه** "[3].

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 178.

[2]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية .

[3]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 181.

وعليه فإن تربية "إميل" في هذه المرحلة: تقوم على بناء ونمو لشخصيته، حيث يصبح قادرا على الاندماج بالطبيعة، ويتأثر ويؤثر، ويحاول أن يسعد كل فرد، وهنا يمتلك "إميل" شعورا خاص، وهو الإحساس بالشفقة والعطف، بحيث يتألم لتألم الآخرين، ويسعد لسعادتهم.

هذه آخر مرحلة يصل إليها "إميل"، يقول روسو :" **ها قد وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من الشباب، ولكنا لم نبلغ بعد آخر مداه، وليس من المستحسن أن يعيش الرجل وحيدا،و"إميل" رجل، وقد وعدناه بشريكة حياة، فينبغي أن نمنحه إياها وهذه الشريكة هي صوفي** ".[1]

بعد سنوات قضاها "إميل"، ينبغي عليه في سن العشرين أن يبحث عن زوجة تستطيع أن تكمل معه ما تبقى من حياته، وهذه الزوجة اسمها صوفي، ويرى روسو أن زوجة "إميل" يجب أن تكون من الريف، وأن تكون قادرة على إسعاده وإرضائه.

"هكذا احتل الطفل موقع المركز في المنظور التربوي لدى روسو ، فطبيعته صارت تشكل نبراسا ومنطلقا للتربية وتصوراتها ... فلأول مرة معه نصادف في الأدبيات الفلسفية والعلمية والتربوية، محاولة لتوصيف المراحل النمائية التي يمر منها الطفل ولأول مرة نلاحظ انشغال فيلسوف بالكشف عن الطريق الذي تسلكه الطبيعة في تنمية الطفل، فكريا وعضويا وأخلاقيا".[2]

[1]- المصدر نفسه، ص، 234.

[2]- خاليد الخطاط ، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، مرجع سابق، ص، 243.

الفصل الثاني:

معالم الفكر السياسي عند جان جاك روسو.

المبحث الأول: الحالة الطبيعية والحالة المدنية.

1- المطلب الأول: الحالة الطبيعية .

2- المطلب الثاني: الحالة المدنية .

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية (العقد الاجتماعي).

1- المطلب الأول: العقد الاجتماعي .

2- المطلب الثاني: مبادئ العقد الاجتماعي .

1- الحق الطبيعي .

2- المساواة .

3- الحرية.

المبحث الثالث: الإرادة العامة والسيادة .

1- المطلب الأول: الإرادة العامة .

2- المطلب الثاني: السيادة وخصائصها.

المبحث الرابع: أشكال الحكم .

1- المطلب الأول: الديمقراطية .

2- المطلب الثاني: الارستقراطية .

3- المطلب الثالث: الملكية.

تمهيد

يظهر أثر جان جاك روسو في نقد الأوضاع السياسية والتربوية التي كانت تشـــهدها فرنسا وقد قدم مشروعه السياسي بديلا لتلك الأوضاع وخير دليل على ذلك هو ما جاء به في كتابه الشهير العقد الاجتماعي هذا الأخير وقد أعتبر أحد دعائم الحقوق السياسية للفرد وقد تناول هذا الكتاب آراءه حول السيادة والقانون والحكومة والدين وغيرها من الأمـــور التي تدخل في المجتمع وفي الجانب السياسي وهذا ما سنحاول التعرف عليـــه فـــي هـــذا الفصل.

المبحث الأول: الحالة الطبيعية والحالة المدنية.

1- المطلب الأول: الحالة الطبيعية.

"كان مفهوم الحالة الطبيعية منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، وإلى غايـــة القرن الثامن عشر، يمثل نقطة مشتركة في مباحث الفلسفة السياسية، إذ قال به كـــل مـــن توماس هوبس (1582-1679) جون لوك (1632-1704) وجان جاك روسو (1712-1778)، افترض فلاسفة العقد الاجتماعي أن الإنسان قبـــل أن يعـــرف الحالـــة المدنيـــة والسياسية كان يعيش في حالة طبيعة، حتى وإن لم يؤمن أحد منهم بوجودها التاريخي".[1]

"ينطلق جان جاك روسو في تصوره لحالة الطبيعة، من خلال اعتقاده بأن الإنســـان طيب بطبعه، وأن الطبيعة أو الفطرة هي ما جبل عليه الناس، مـــن غرائـــز وإحساســـات بمعنى هذا أن الإنسان طيب بطبعه، وأن السعادة ترجع للناس إذا استمعوا إلـــى الطبيعـــة وهو أن السعادة ترجع لهم إذا هم تركوا كنتائج الفكر، وما أبدعه مـــن مدينـــة وحضـــارة ورجعوا إلى وحي الطبيعة الأولى، وما تدعو إليه من بساطة وسذاجة".[2]

من خلال هذا يتضح أن الطبيعة هي فطـــرة الإنســـان، وكـــل غرائـــزه وميولاتـــه وأحاسيسه فهي نابعة منها، والإنسان يكون سعيدا إذا عاش على وفاق مع الطبيعة.

"لقد تعرض روسو بكثير من الاهتمام، إلى وصف الصفات البشرية الأساسية، التـــي كان إنسان الطبيعة يمتاز بها، وذلك من خلال محاولة تتبعه لمراحل تطور الجنس البشري لمعرفة ما هو أصلي في الإنسان، وما هو مضاف إليه بفعـــل الحضـــارة، وكـــان هدفـــه

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 159.

[2]- محمد حسن هيكل، روسو، حياته، وكتبه، (د،ط) دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص، 5.

الرئيسي من هذا، يتمثل في دحض مقولتي هوبس الشهيرتين، بأن " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" أي أنه شرير بطبعه، وأن حالة الطبيعة تمتاز ب"حرب الكل ضد الكل".[1]

ومن هذا فإن فكرة روسو حول الحالة الطبيعية، جاءت كرد فعل لما جاء به هوبس الذي اعتبر أن الإنسان شرير بطبعه، لكن روسو أقر بأن الحالة الطبيعية، هي حالة السعادة ساد فيها الخير والفضيلة، وبهذا يكون إنسان الطبيعة عكس ما قال عنه هوبس .

وهنا يقول جان جاك روسو: " **أيتها الطبيعة أنت يا أماه، هذا أنا بين يديك أتلقى الحب والرعايا**"[2]. يتضح من هذا أن الطبيعة هي الأم الحنون، التي تقوم برعاية ابنها من كل شر، وتعطيه كل العناية والراحة، والطبيعة متجذرة في نفس الإنسان، لأنه فطر عليها.

" تصور روسو" إنسان الطبيعة سادرا في الغابات، لا صناعة له ولا نطق، ولا مسكن، ولا حروب ولا حاجة له لأبناء جنسه، ولا رغبة في أذية أي منهم، ولا معرفة أحد منهم شخصيا وليس عرضه إلا للقليل من الشهوات، إنه يكفي نفسه بنفسه، وليس له إلا العواطف والمدارك التي تتطلبها هذه الحالة، ولا ينظر إلا إلى ما يظنه مفيدا له"[3].

معنى هذا أن الإنسان الأول أي إنسان الطبيعة، يعمل للحفاظ على بقائه، عكس ما قال به هوبس: بأن الإنسان متوحش ويتميز بالطمع، فالحالة الطبيعية هي الحالة التي يعيش فيها الفرد سعيدا، محافظا على بقائه، دون إحداث الضرر لغيره، وهنا يعيش في أمن وسلام.

يقول روسو: " **يبدو لأول وهلة أن الناس وهم في حالة الطبيعة، لم يكونوا صلاحا ولا صالحين، ولا كان لديهم لا فضائل ولا رذائل، إلا إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى طبيعي، وفي هذه الحال يجب أن يدعي الأكثر فضيلة من كان أقلهم مقاوما، لاندفاعات الطبيعة** "[4].

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 159.

[2]- جان جاك روسو إميل، ترجمة عادل زعيتر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1936، ص، 40.

[3]- أندري كرستون، روسو حياته – فلسفته، منتخبات، مرجع سابق، ص، 81.

[4]- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق، ص، 70-71.

"نلاحظ من هذا أن جان جاك روسو قد أعطى منحنى آخر في وصف الحالة الطبيعية للإنسان، بخلاف سابقيه من الفلاسفة، حيث ذهب روسو في وصفه للإنسان في الحالة الطبيعية، وهي حالة ما قبل نشوء المجتمع المدني، إلى أن الإنسان يعيش حياة أقرب إلى حياة الحيوانات، فهو يتجول بحثا عن الغذاء، ويحاول أن يحافظ على وجوده ولكنه ليس حيوانا شرها، ولا عدوانيا بطبيعته".[1]

يختلف روسو عن معظم الفلاسفة، في وصفه للحالة الطبيعية، فهي في نظره تشبه حياة الحيوانات، كون أنها عشوائية يعيش فيها الإنسان باحثا عن ما يلزمه من غذاء وغيره، وهذا من أجل العيش، وهو يتميز عن الحيوان كون أنه ليس عدوانيا، وهذا ما بثته فيه الطبيعة.

كما يرى روسو أن الأسرة هي أقدم نموذج يمكن أن يعبر عن الحالة الطبيعية، وفي هذا يقول روسو: "**مجتمع الأسرة هو أقدم المجتمعات، وهو المجتمع الطبيعي الوحيد، وذلك إلى أن الأولاد لا يبقون مرتبطين في الأب، إلا للزمن الذي يحتاجون فيه إليه لحفظ أنفسهم**"[2]

معنى ذلك أن الأسرة هي أقدم نموذج يعبر عن الحالة الطبيعية، وهي التي تشكل مجتمعا طبيعيا، في حدود الفترة التي يحتاج فيها الأبناء إلى الآباء، وعند تحقيق حاجياتهم تصبح هذه الأسرة لا تعبر عن مجتمع طبيعي .

"لا شك في أننا نريد أن نكون سعداء، لكننا نريد أيضا، أن يكون الآخرون سعداء حينما لا تحول سعادتهم دون سعادتنا، وإن كانت سعادتهم لا تنزع شيئا من سعادتنا، فإنها تزيدها، ثم إننا نشفق من طبعنا على الأبرياء، والتعساء، وحينما نشاهد آلامهم، نتألم لهم ومعهم لا يمكن للإنسان، مهما تصلب قلبه أن يفقد كل عاطفة رحمة، وكل شعور إنساني"[3].

---

[2]- مويسات حنان، الفكر السياسي في فلسفة جان جاك روسو، مذكرة ماستر، (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،2017، ص، 26.

[2]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 30.

[3]- نقلا عن، أندري كرستون، روسو، حياته فلسفته ، منتخبات، مرجع سابق، ص، 147.

معنى ذلك أن الإنسان بطبعه إنسان فاضل، يحب الخير لنفسه ويحبه للآخرين، فإذا تألم غيره يتألم معه، وإذا كان سعيدا فرح معه، فهذا يجعل الإنسان يعيش حياة مليئة بالأمن والاستقرار، لأن الإنسان مهما كان قاسيا فهو يملك العاطفة التي بثتها فيه الطبيعة. فالحالة الطبيعة هي حالة فطرية، تقوم على الحرية المطلقة، بحيث تتميز بغياب القوانين والمؤسسات والروابط الاجتماعية .

2- المطلب الثاني: الحالة المدنية

لم يكن باستطاعة الفرد أن يبقى منعزلا، ولا أن يحيا إلا مع غيره، ولا أن يحافظ على الحالة الطبيعية، ومن هذا يرى روسو بأن التحول الذي حدث في الانتقال، من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، كان على مراحل وبفاصل زمني.

"يفترض روسو كما رأينا أن الإنسان، انتقل من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني لكن هذا الانتقال لا يتم مباشرة من الحالة الأولى (الطبيعية) إلى الحالة الثانية (المدنية): زوال الأولى لا يؤدي مباشرة إلى ظهور الثانية، هناك فاصل زمني كبير بينهما، وقد جرى هذا التحول طبقا لتطور تاريخي، يذكر روسو خطوطه العريضة: بروز الملكية وما تتبعها من لا مساواة بين الأفراد، حيث انقسموا إلى فقراء وأغنياء، في مرحلة أولى، ثم إلى أقوياء وضعفاء، وإلى عبيد وأسياد في مراحل تالية"[1].

يرى روسو أن الإنسان قد انتقل من الحالة الطبيعية، ليدخل في الحالة المدنية، بحيث أن هذا التحول أو الانتقال كان سببه بروز عدة عوامل منها: الملكية وغيرها، هذا ما أدى إلى ظهور التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع، بين الغني والفقير، وبين السيد والعبد.

"يريد روسو أن يجعلنا نرى إنسان الطبيعة، بانتظار أن يصبح هذا الإنسان إنسان الإنسان، إنه ينوي وصف حياة النوع البشري، وفق الخصال المستمدة من الطبيعة، والتي تمكنت التربية السيئة والعادات السيئة من"إفسادها"، ولكن دون تهديمها، إنه يعتزم أن يبين كم تغير الإنسان عما كان عليه"[2].

معنى ذلك أن أول أسباب تحول الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، هو التربية الغير صالحة، التي أدت إلى فساد المجتمع وفساد كل فرد.

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 163.

[2]- فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص، 478.

"كان الإنسان في حالة الطبيعة طبيعيا، تأخذه الشفقة من رؤية كائن شاعر، ولا سيما من أبناء جنسه، يتألم ويتعذب لم يكن يشعر حينئذ بالتفاوت إلا قليلا، بل إن تأثير التفاوت كاد أن يكون معدوما، ولكن بذور التفاوت كانت مهيئة للظهور، عندما تغلغلت إلى الإنسان فكرة الاجتماع، وكان من الجائز في جميع الأحوال ألا يتحقق التفاوت، وألا يقام المجتمع وألا تنمو هذه البذور، وأن يبقى الإنسان على حالته الأولى ...إلا أن طائفة من الأسباب تألبت جميعا على ظروف عيش الإنسان"[1].

ومن هذا فإن إنسان الطبيعة في نظر روسو، كان سعيدا هنيئا، وقد كان كل إنسان مساويا للآخر، ولم يوجد أي تفاوت، ولكن بعد قدوم فكرة الاجتماع انعدمت الحالة الطبيعية وتحولت حياة الإنسان الأول من إنسان طبيعي إلى إنسان مدني.

"نعم إن الاجتماع شر، وينبوع شر، فالأنانية والفنون، والحرب والرق، والرذيلة لا وجود لها في الناس، إلا إذا كانوا فقط كائنات تميل إلى الاجتماعي، تعيش مع بعضها البعض في مجموعات صغيرة أو كبيرة، أو مجتمعات متخلفة أو متحضرة، وإذا كان الاجتماع شر، وينبوع الشر، انتهدم إذن المجتمعات لكي نعود إلى حالة الطبيعة الأولى؟"[2].

يرى روسو أن كل اجتماع شر، فهو مصدر كل الرذائل والشرور، فعلى الإنسان أن يعود إلى الحالة الطبيعية، هكذا يستطيع أن يعيش في السعادة والأمن والأمان، ويبتعد عن كل مفاسد المجتمع.

"أدى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية إلى تغيير في الإنسان، جدير بالذكر كثيرا، وذلك بإحلاله العدل محل الغريزة في سيره، وبمنحه أفعاله أدبا كان يعوزها سابقا، وهنالك، فقط إذ عقب صوت الواجب الصولة الطبيعية، وعقب الحق الشهوة رأى الإنسان، الذي لم ينظر غير نفسه حتى ذلك الحين، اضطراره إلى السير على مبادئ أخرى"[3].

---

[1]- علي عبط المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، (د،ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص، 440.

[2]- علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، مرجع سابق، ص، 443.

[3]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 50.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية (العقد الاجتماعي).

1- المطلب الأول: العقد الاجتماعي

يعد روسو من رواد حركة التنوير في العصر الحديث، ومن الذين مهدوا للثورة الفرنسية وفي عام 1762 كتب أهم مؤلفاته كتاب "العقد الاجتماعي"، الذي وضح فيه الأساس القانوني للحكم الجمهوري، وأصبح من ضمن مصادر الفكر السياسي الحديث ولقد رأى روسو أن هناك حرية بدائية للبشر، لم يكن فيها قواعد وقيود أو قوانين، وقد وجه اتهامات للدولة، ورأى بأنها تقوم بتدمير تلك الحرية، وقد قدم بديلا عنها بإيجاد شكل جديد للمجتمع يدافع عن حقوق كل عضو، وهو يأتي مع اتفاق الأفراد وهو: " العقد الاجتماعي".

"عقد ***(Contral)*** العقد: هو على العموم اتفاقية مبرمة بين طرفين، مستقلين وراشدين يتمتعان بإرادة، وهو عند روسو: اتفاقية مبرمة بين الجزء والكل، أي بين كل فرد والجماعة بما هي كل واحد"[1].

إن أساس المجتمع التعاقدي هو الاتفاق بين الأفراد، حول وضع قوانين، تعبر عن إرادتهم الحرة، في التعايش من خلال العقد الاجتماعي .

يقول روسو: " **أفترض من انتهاء الناس إلى النقطة التي تغلبت عندها العوائق الضارة، بسلامتهم في الحال الطبيعية، وذلك عن مقاومة فيها، على القوى التي يمكن كل فرد أن يستعملها للبقاء في هذه الحال، وهنالك لم تقدر هذه الحال الابتدائية على الدوام وكان الهلاك نصيب الجنس البشري، إذا لم يغير طراز حياته** "[2].

معنى ذلك أن الإنسان لم يستطع الحفاظ على الحالة البدائية الأولى (الحالة الطبيعية) مما أدى إلى عدم إنتاج قوى جديدة، وهذا لعدم وجود وسائل للبقاء، وإذا أرادوا البقاء والحفاظ على النوع البشري، كان عليهم الاتفاق والتكتل، وهو ما يسمى بالعقد الاجتماعي.

"إن العقد الاجتماعي في نظر روسو قد أبرم بين الأفراد أحرارا متساوين، وكان الهدف منه، أن يحصل هؤلاء على الأمن والطمأنينة، دون أن يتنازلوا على الإطلاق عما يتمتعون به من حرية أو مساواة، وذلك فلم يكن أمامهم سوى شيء واحد فقط، أن ينزل

[1]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 259.

[2]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 43.

كل فرد نزولا كليا عن حقوقه للجماعة بأسرها، وكلما كان النزول كليا وبلا تحفظ، كان الاتحاد أكمل"[1].

إن العقد الاجتماعي في نظر روسو هو الحفاظ على ما يسمى بالحرية، وأن يجعل كل الأفراد متساوين، وهذا العقد يكون بالاتفاق، ويجب أن يكون هذا الأخير بالتنازل، فإذا تنازل كل شخص تنازلا كليا للجماعة، يسود التساوي وتكون الحرية بين الجميع.

"ويؤكد روسو على أن العقد الاجتماعي يعطي المجتمع السياسي سلطة مطلقة، على كل أعضائه، وهذه السلطة المطلقة، التي تتولاها إرادة عامة تحمل اسم السيادة، فالسيادة التي ليست سوى ممارسة الإرادة العامة، لا يمكن لأحد أن يمثله أو ينوب عنه سوى نفسه، ويضيف إل ذلك أن السلطة العليا لا يمكن تقييدها، ذلك أن تقييد السلطة العليا معناه تحطيمها"[2].

إن العقد الاجتماعي في نظر روسو هو: إعطاء المجتمع سلطة مطلقة، أي حرية لكل عضو، وهذه السلطة تكون تحت ما يسمى بالإرادة العامة، هذه الأخيرة تكون بموجب السيادة، التي لا يمكن أن تتجزأ، ولا يتصرف فيها أحد كما بين روسو أن السلطة العليا لا يجب أن تخضع لقيود، فهذا حتما سيؤدي إلى زوالها.

" يتصور جان جاك روسو أن العقد الاجتماعي قائم على الإرادة العامة للأفراد المتعاقدين، وهي إرادة دائمة ومطلقة، ومتى انعدمت تلك الإرادة انعدم وجود العقد الاجتماعي، وبالمعنى الذي يتنازل فيه كل فرد لذاته أو لإرادته، فإذا فالعقد الاجتماعي عنده هو عبارة عن إيجاد نوع من الإتحاد، الذي يحمي شخصا كل فرد وملكيته، ويدافع عنها باستخدام القوة العامة للمجتمع، ويطبع فيه كل فرد"[3].

إن روسو يعلي من شأن الجماعة عن طريق إرادتهم العامة، ويؤكد أن غياب هذه الإرادة، يعني عدم وجود هذا العقد، وهو الذي يصون كل شخص ويحفظ للجماعة حقها.

---

[1]- فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص، 86.

[2]- المرجع نفسه، ص، 98.

[3]- الحاج رباني، نظرية العقد الاجتماعي كتأصيل فلسفي لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، مذكرة ماجستير، (منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003، ص، 68.

"يرى روسو أن الرغبة في الوحدة (إتحاد الأفراد فيما بينهم) التي أدت إلى هذا العقد الاجتماعي، والمقصود بالوحدة، هي وحدة الجسم الاجتماعي، أي تبعية المصالحة العامة والعقد عنده ليس عقدا بين الأفراد، مثلما يراه هوبس ولا عقد بين الأفراد والحاكم كما يراه لوك، ولكنه أعطاه شكلا آخر بحيث بموجب العقد الاجتماعي كل واحد يتحد مع الكل"[1].

يستوحي روسو العقد الاجتماعي من رغبته في وحدة المجتمع وتبعية المصالح الخاصة للمصالح العامة، فهو ينظر للعقد الاجتماعي، على أنه إتحاد الجزء مع الكل وليس كما يرى هوبس و لوك.

"والعقد الاجتماعي لابد أن يقوم على وعي جميع الأفراد، حتى يكون عقدا إراديا وموافقا لطبيعتهم، أي هادفا للحفاظ على حقوقهم الطبيعية، حسب ما تقتضيه الحالة الاجتماعية ، والوعي معناه إذن هو الفهم الصحيح للطبيعة البشرية، والقدرة على تأسيس مجتمع له قوانين متكاملة مع تلك الطبيعة، مما يعني أن الإنسان الطبيعي، هو الإنسان الذي ينبغي أن يعي البشر حقيقته من خلال فهمهم للطبيعة الأصلية، والتطورية عند تأسيسهم للمجتمع التعاقدي"[2].

حسب جان جاك روسو فإن أساس الاجتماع البشري هو التعاقد الاجتماعي، أي أن الناس كانوا يعيشون في حالة الطبيعة، ولم يكن يحكمهم أي قانون، يتصرفون وفقا للحرية الطبيعية، وما دفعهم للانتقال من الحالة الطبيعية إلى حالة المجتمع، هو التحول الذي حدث في الطبيعة نفسها، هذا ما دفعهم إلى الإتحاد مع بعضهم، وبالتالي اتفق الناس على الدخول في عقد اجتماعي، بموجبه تم إنشاء دولة وحكومة ووضع قوانين لحماية مصلحة الجماعة وهذا هو أساس الاجتماع البشري عند روسو.

---

[1]- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 304.

[3]- محمد سي بشي، إرهاصات العقد الاجتماعي في ظل سياسة العولمة، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005، ص، 46.

2- المطلب الثاني: مبادئ العقد الاجتماعي .

1: الحق الطبيعي .

لقد تناول معظم فلاسفة العقد الاجتماعي مفهوم الحق، باعتباره قيمة إنسانية، تعبر عن السلم والعدالة، والحرية والمساواة، فالحق يعبر عن العدل والقانون، بحيث نجد هذا المفهوم لدى جان جاك روسو، وذلك في رجوعه إلى حالة الإنسان الطبيعية.

"إن حالة الطبيعة تتسم بمساواة فعلية بين الأفراد، إلى درجة أن التفاوت بينهم يكاد يكون معدوما، والسبب في ذلك يعود إلى أن هذه الحالة تنفي وجود فوارق بين الأفراد، أو عدم أهميتها إن وجدت، مما يجعل استبعاد فرد لآخر مستحيلا، إنها حالة سعادة وسلم واطمئنان، خالية من أي صراع، لكن هذه الحالة تتسم بالبساطة والعزلة، لا نعني أنها حالة غير اجتماعية، وإنما هي فقط غير سياسية، كان الإنسان فيها يتمتع بحقوق تضمن له العيش في كنف السلم والطمأنينة، وتسمى هذه الحقوق، الحقوق الطبيعية "[1].

في نظر روسو الحالة الطبيعية هي أرقى الحالات وأحسنها، بحيث أن الأفراد في هذه الحالة يسودهم التساوي، وتتسم هذه الحالة بالخير والسعادة، ولا تحتوي على أية نزاع وهي غير سياسية، وقد كانت هذه المرحلة تظم حقوق تضمن حماية حياة الفرد ليعيش في أمان، وقد أطلق عليها روسو باسم الحقوق الطبيعية.

يقول روسو: " **إن فكرة الحق لاسيما فكرة الحق الطبيعي، فكرتان متصلتان بطبيعة الإنسان، لذلك وجب أن تستنبط مبادئ هذا العلم من طبيعة الإنسان عينها، ومن تكونه ومن حالته**".[2]

معنى ذلك أن الحق شيء طبيعي، وجد مع إنسان الطبيعة ، فهو متأصل فيه ويجب أن يطبق هذا الحق، تبعا لما وجد عليه في حالة الإنسان الطبيعية .

"وتكلم بعضهم الآخر عن الحق الطبيعي الذي لكل إنسان بأن يحفظ "ماله"، ولكنهم لم يبينوا ما يعنونه بكلمة "ماله"، وآخرون غيرهم إذ بادروا أولا بمنح الأقوى سلطة على الأضعف، سارعوا بإنشاء الحكم، دون أن يعملوا الرأي في الزمان الذي لا بد من مروره

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 160.

[2]- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ترجمة، بولس غانم، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص، 55.

قبل أن يوجد معنى سلطة وحكومة بين الناس، وفي الأخير لما كان جميعهم يتحدثون عن الحاجة والجشع...، فسببه أنهم نقلو إلى الحالة الطبيعية، ما كانوا قد حصلوه داخل المجتمع من أفكار ...، والحال أنهم يرسمون صورة الإنسان المدني"[1].

يرى روسو من هذا أن الحالة الطبيعية يسودها الأمن والسلام ، والإنسان عند انتقاله إلى الحالة المدنية، يكون الفرد القوي أعلى مرتبة من الضعيف ، فالكثير رأوا أن إنسان الطبيعة يتميز بالجشع والظلم والعنف، أما إنسان الحالة المدنية هو السيد وهو صاحب السلطة، لكن العكس صحيح .

يقول روسو: " **إن الحالة الطبيعية، وهي الحالة التي حرصنا فيها على حفظ بقائنا هو الأقل اضررا بحفظ بقاء غيرنا، فإن هذه الحالة هي، بالنتيجة، الأصلح للسلام والأكثر ملائمة للجنس البشري، بيد أن هوبس يذهب خلاف ذلك، ففي باب الحرص على حفظ البقاء الذي للإنسان المتوحش، يقحم جزافا الحاجة لإشباع كثير من الأهواء، التي أنشأها المجتمع** ."[2]

معنى ذلك أن إنسان الطبيعة كان يشعر بالسعادة رغم عدم معرفته عنها ، فلم يكن المهم معرفة ذلك الحق، بل الأهم أنه يشعر بوجود ذلك الحق في الحياة ، فالحالة الطبيعية في نظر روسو هي أنسب حال تضمن فيها حقوق الفرد ، عكس ما جاء به هوبس، الذي ينادي بالتوحش للوصول إلى الحق.

في هذا يقول روسو: " **إن أول قوانين الإنسان هو قانون محافظته على بقائه**".[3]

معنى ذلك أن أول الحقوق في الحالة الطبيعية هو حق الحياة ، ولا يمكن لأي أحد أن يمس هذا الحق، ونجد بأن روسو قد اتفق مع فلاسفة العقد الاجتماعي، هوبس ولوك في أولوية حق الحياة ، لأنه حق طبيعي، فالإنسان في المرحلة الطبيعية لا توجد بينهم عداوة فكل منهم يتعاطف مع الغير، وهذا ما جعله يحافظ على ذاته وعلى حياة غيره.

---

[1]- جان جاك روسو ، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، مصدر سابق، ص، 66.

[2]- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، مصدر سابق، ص، 99.

[3]- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، مصدر سابق ص، 55.

2: المساواة.

"يكتسب كل عضو في المجتمع الجديد بواسطة العقد الاجتماعي إلى جانب الحرية مزايا أخرى، لتعويض الحرية الطبيعية، التي فقدها بمجرد اعترافه بالعقد الاجتماعي ومن بين هذه المزايا المساواة الطبيعية، إذ يتساوى الجميع أمام العقد ويلتزمون بنفس الشروط ويتمتعون بنفس الحقوق، إلا أن هذا لا يعني المساواة في الملكية، وبذلك تصبح المساواة شكلية لا غير"[1].

معنى ذلك أنه على العقد الاجتماعي أن يضمن للجميع المساواة، سواء في الحقوق أو في الشروط التي وضعها هذا العقد، وهذه المساواة في نظر روسو جاءت كتعويض للحرية التي كانت موجودة في الحالة الطبيعية.

يعمد روسو المساواة في الملكية الخاصة بين المواطنين، بحيث يكون كل متعاقد مالكا لأجل إبطال أسباب التنافس.[2]

يرى روسو أنه يجب أن يتساوى المواطنين في الملكية الخاصة، على حسب العقد وهذا يضمن عدم الصراع والنزاع بين أفراد المجتمع.

"إن إنسان الطبيعة مستقلا بوجوده عما سواه، فلا مجال للمقارنة بينه وبين أشباهه من البشر، ولا للتباري معهم، فلا هو بالمعجب بالنفس، ولا بالنافر مع الغير، وعلى أساس الاعتراف بهذا الضرب من التفاوت، يستنبط روسو مساواة ...في الحالة المدنية".[3]

يرى روسو أن إنسان الحالة الطبيعية كان لا يعرف التفاوت، أي أنه كان يتساوى مع غيره في كل شيء، لذا يجب أن تكون مساواة الحالة الطبيعية هي نفسها مساواة في الحالة المدنية ، فهذا ما يضمن عدم النزاع والتنافس بين أفراد المجتمع الواحد.

"إن المساواة تعني اعتدالا في الثروات والتأثير من جانب الكبار، واعتدالا في الشيخ والطمع في جانب الصغار، لأنه قد يحدث أن يجعل الإنسان من نفسه عبدا لآخر، ولكن تلك العلاقة ليست هبة بل إنها بيعة، وهي أشد الأضرار التي تلحق بالإنسان، وهي أن يبيع نفسه، ومن هنا وجب أن تتغير صفات الناس المختلفة عن الصفات التي كانوا

---

[1]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، (د،ط)، دار النجاح، بيروت، 1973، ص، 245.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 42.

[3]- المصدر نفسه، ص، 42.

يتمتعون بها في المرحلة الطبيعية، فإذا كان الإنسان في تلك المرحلة الطبيعية يتمتع بحرية كان فيها هو القاضي الوحيد ".[1]

إن المساواة في نظر روسو هي ما كانت عليه في الحالة الطبيعية، وهي التي تمثل العدل في جميع نواحي الحياة، وإذا لم تكن مساواة، فهذا حتما يسبب تفاوتا في المجتمع وينتشر الظلم والفساد.

يقول روسو: " **فمن واجبات الدولة أن تنشر روح المساواة بين مواطنيها، ولكن لا يجب أن نفهم لمدرك المساواة أن درجات المقدرة والثراء يجب أن تكون متساوية بين سائر المواطنين، بل أن تكون المقدرة خالية من العنف وأن لا تمارس إلا بحسب الدرجة، وبموجب القوانين، ولا يحول الغنى صاحب القدرة على شراء الآخرين، ولا يجبر الفقر صاحبه على بيع نفسه ليحقق القوة مع غلوائه، والغنى من جشعه والضعيف من حقده والفقير من حسده.**"[2]

إن روسو ينادي بالمساواة التي تنص على العدل وعدم التفاوت بين الأفراد، أي كما كانت في الحالة الطبيعية ، وروسو يدعو بضرورة أن تطبق الدولة المساواة على الجميع ولكنه لم يقصد بأن يكون جميع الأشخاص متساوين، في الثروات والقوة وغيرها، لكنه يعني من ذلك أن لا يصل الغني إلى الكمال والغنى، ولا يصير الفقير معدما كي لا يشتري الغني الفقير، ولا تكون هناك فوارق اجتماعية بينهم .

3: الحرية.

تعتبر الحرية أحد الحقوق الطبيعية التي تكلم عليها روسو، وهي أهم مبدأ يرتكز عليه وجود الإنسان على سطح الأرض.

يستهل روسو كتابه العقد الاجتماعي بعبارته الشهيرة: "**يولد الإنسان حرا، ويوجد الإنسان مقيدا في كل مكان، وهو يظن أنه سيد الآخرين، وهو يظل عبدا أكثر منهم.**"[3]

"يريد روسو أن يبين من خلال هذه العبارة أن الحرية من طبيعة الإنسان، ولا يمكن أن يجرد من طبيعته هذه، وبالتالي لا وجود لقوانين طبيعية تجعل الإنسان يخضع لغيره

---

[1]- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص، 228.

[2]- نقلا عن حنان مويسات، الفكر السياسي في فلسفة جان جاك روسو، مرجع سابق، ص، 35.

[3]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 29.

وتعني الحرية عند روسو قدرة الإنسان على الاختيار، أي الحق في التصرف وفق ما تمليه إرادته"[1].

روسو يرى أن الحرية هي المبدأ الأساسي ليعيش الفرد في أمن وسلام، بحيث أنه له الحق في التمتع بكل ما يريده، ويسعى إلى تحقيقه، فالحرية شيء طبيعي في الإنسان.

يقول روسو: " **وتنزل الإنسان عن حريته يعني تنزلا عن صفة الإنسان فيه، وتنزلا عن الحقوق الإنسانية، وعن واجباتها أيضا، ولا تعويض يمكن لم يتنزل عن كل شيء وتنزل كهذا يناقض طبيعة الإنسان، ونزع كل حرية من إرادة الإنسان، هو نزع كل أدب من أعماله.**"[2]

يقصد روسو من هذا أن الإنسان إذا تنازل عن حريته فهو بذلك قد فقد كل شيء ولا يمكن أن تعوض تلك الحرية بأي شيء، فإذا سلبت منه سلبت حياته، فالحرية أهم شيء يستطيع به الإنسان الحفاظ على بقائه، فهي حق من الحقوق الإنسانية التي يجب توفرها.

"الإنسان وإن كان يتمتع في الحالة الطبيعية بحرية طبيعية، فإنه في الحالة المدنية يفقدها يكتسب حرية مدنية، وفقدانه لها هو من أجل تحقيق حرية أفضل منها، لأن الحرية الطبيعية ليس لها حدود سوى قوى الفرد، بينما الحرية الناشئة من الحالة المدنية هي التي تكون محدودة بالإرادة العامة، ولذلك كما يقول روسو كان لزاما علينا، أن نفرق بين الحرية الطبيعية والحرية المدنية أو السياسية"[3].

باعتبار أن الحرية هي المبدأ الأساسي لكل وجود إنساني، بحيث إذا غابت انعدمت إنسانية هذا الكائن ، فإن روسو يرى أن هناك اختلاف بين الحرية الطبيعية، التي كان يتمتع بها الإنسان، وبين الحرية المدنية التي تتحدث عن طريق الإرادة العامة.

"الحرية لا تتحقق في المرحلة المدنية إلا بمزاولة الحكومة الناشئة عن العقد الاجتماعي لمهامها السياسية، فهي وحدها القادرة على تنفيذ الحرية وتحقيقها، بل إنها وظيفة من وظائفها، ومن ذلك يقول روسو في تعريفه وتساؤله عن الحكومة: "أنها هيئة

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 160.

[2]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 36.

[3]- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص، 227.

وسيطة بين الرعايا وصاحب السيادة، من أجل الاتصال المتبادل بينهما، مكلفة بتنفيذ القوانين والمحافظة على الحرية المدنية والسياسية على السواء"[1].

معنى ذلك أن تحقق الحرية بعد انتقالها من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية في نظر روسو، يكون عن طريق ما يسمى بالعقد الاجتماعي في الحكومات، وهذه الأخيرة هي القادرة على تحقيق هذه الحرية للفرد على أكمل وجه، فالحرية والمساواة أهم شيء يستطيع أن يجعل الإنسان في بيئة يسودها الأمن والسلام.

"وقد ربط روسو بين الحرية والمساواة، باعتبارهما يمثلان الخير الأعظم الذي يسعى المجتمع السياسي إلى تحقيقه، وكانت هذه المسألة من أهم المسائل التي بنى عليها فكره السياسي"[2].

المبحث الثاني: الإرادة العامة والسيادة .

1- المطلب الأول: الإرادة العامة.

إن الإرادة العامة من المفاهيم الأساسية والرئيسية في فلسفة روسو السياسية، ويعني بها إرادة الكل، أي إرادة الشعب ووحدته، والذي بموجبه تكون المصلحة المشتركة.

"يوضح روسو أن الإرادة العامة هي التعبير الوحيد عن الرغبة في عمل شيء ما وقوة الإرغام على فعله ضرورية أيضا، وهذه الضرورة تجلب إلى الوجود التمييز بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، بين صاحب السيادة والحكومة، لأن صاحب السيادة لا يستطيع سوى أن يسن قوانين بصورة مشروعة، تخص موضوعات عامة، أما تطبيق القوانين على أفعال معينة، أو أشخاص فليس من اختصاصه، بل يخص بالأحرى الحكومة، وتلقى الحكومة تعاليمها من الإرادة العامة"[3].

يرى روسو أن الإرادة العامة تعبر عن مصالح الشعب، ووحدته كما أنها تعبر عن السيادة التي لا تكون إلا للشعب، وكما أن الحكومة ملزمة بالخضوع لهذه الإرادة .

---

[1]- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص، 228.

[2]- المرجع نفسه، ص، 227.

[3]- ليوشتراوس، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 157.

يقول روسو: " **إذا ما عد أناس كثير أنفسهم، هيئة واحدة لم يكن لهم، ماداموا هكذا غير إرادة واحدة تناسب حفظ الجميع والسعادة العامة، وهنالك تكون نوابض الدولة كلها قوية بسيطة، وتكون مبادئها صريحة ساطعة، ولا يكون للدولة مصالح ملتبسة متناقضة ويبدو الخير العام في كل مكان واضحا، ولا يتطلب غير سلامة إدراك، حتى يشعر به ويحسب السلم والإتحاد والمساواة، أعداد للحيل السياسية**"[1].

يرى روسو أن الناس كتلة واحدة، والإرادة العامة هي التي تحفظ الجميع، وتحقق لهم السعادة، ومن هنا تصبح الدولة قوية تعبر عن المصالح المتساوية، وينتشر الخير العام وتتحقق الحرية والمساواة في المجتمع.

يقول روسو في هذا الصدد: " **إن حاصل ما تقدم قوله هو أن الإرادة العامة تكون على الصراط المستقيم دائما، ميالة إلى المنفعة العمومية دائما، ومع ذلك فليس من اللزوم أن تتحلى مشاورات الشعب بالاستقامة عينها دائما، يريد المرء الخير لنفسه دائما، ولكنه لا يرى دائما ما عساه يكون، محال أن يزرع الفساد في الشعب أبدا الآبدين، ولكن الشعب يخدع في غالب الأحايين، وإذاك فقط قد يظهر بمظهر من يريد سوء السبيل** "[2].

إن الإرادة العامة في نظر روسو هي إرادة الكل، وهي دائما ما تحقق الخير العام كما تعبر عن الحق والعدل ، و إرادة الجميع، فما يريده الفرد في حياته أن يعيش في الأمن والأمان، وأن تحقق مصلحته وذلك بالتساوي مع غيره.

يقول روسو: "**ولكن الرابطة الاجتماعية إذا ما أخذت ترتخي، والدولة إذا ما أخذت تهن، والمصالح الخاصة إذا ما أخذت تحس، والمجتمعات الصغيرة إذا ما أخذت تؤثر في الكبيرة، فسدت المصلحة العامة .. أي عاد الإجماع لا يسيطر على الأصوات، وعادت الإرادة العامة لا تكون إرادة الجميع**"[3].

---

[1]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 165.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 109.

[3]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص 166.

المقصود بذلك أن الإرادة العامة، لا تتحقق إلا إذا كان الجميع يعبر عن كتلة واحة بداية من الدولة إلى أفراد المجتمع، فإذا فسدت هذه الرابطة الاجتماعية بين المجتمع والدولة انتشرت الفوضى وزالت الإرادة العامة، ويسقط ما يسمى بإرادة الجميع.

"ولقد تحدث جان جاك روسو عن صفات الإرادة العامة وأجملها في:

1- لا تنحاز لأن مصدرها يعود للجميع، ويجب أن تطبق على الجميع .

2- إرادة ثابتة ودائمة، ولا تفنى وهي تحقيق ما فيه الخير لهم وتحقيق السلام.

3- الإرادة العامة تعبر عن إرادة شعب معين، يعيش في مكان وزمان معينين

4- لا يمكن لها أن تتنازل عن سلطتها في سن القوانين لأحد يقول روسو" إن الإرادة الأكثر عموما هي دائما الأكثر عدلا ".

5- لا يمكن أن تطبق وتنفذ الشرائع التي سنها، بل تعهد بذلك إلى موظفين تحت إشرافها، وهؤلاء هم السلطة التنفيذية

6- الإرادة العامة أخلاقية، لقد رأى روسو أنها ليست البتة جمعا حسابيا بسيطا وخالصا للإرادات الخاصة، بل إنها إرادة تعصمها الفضيلة من الاستبداد والطغيان"[1].

يوضح روسو أن الإرادة العامة هي المصدر الوحيد لكل القوانين العادلة، فهي السلطة العليا المطلقة، ويعتبرها الركيزة الأساسية، لأنها ثابتة لا تقبل التجزئة.

"ويؤكد روسو في قوله بأن الإرادة العامة لا يمكن إتلافها، فإذا اجتمع عدد من الناس واعتبروا، أنفسهم جسدا واحدا، فسوف يكون لهم إرادة واحدة، تحافظ عليهم وعلى رفاهيتهم، وعندئذ تكون بواعث الحيوية في الدولة قوية، وتكون مبادئها واضحة، ولا يوجد مطلقا مصالح ملتبسة ومتناقضة، ويبدو الخير العام في كل مكان واضحا، ولا يتطلب سوى الإرادة السليمة لمعرفته"[2].

لقد أكد روسو أن هذه الإرادة هي أن تكون إرادة الشعب، إذن فالإرادة العامة هي ما يريده الناس عندما يتطلعون إلى الخير العام ، وهي تكفل مصالحهم المشتركة، وهي الوسيلة التي تضمن لهم حقوقهم وحريتهم.

---

[1]- فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق، ص، 90.

[2]- المرجع نفسه، ص، 95.

2- المطلب الثاني: السيادة وخصائصها.

تعتبر السيادة في فلسفة روسو من المفاهيم المشكلة لفكره السياسي، هذا ما دفعنا إلى معرفة هذا المفهوم، أو ما يسمى بالسيادة، فما هي السيادة عند روسو؟ وما هي أهم خصائصها، وقبل معرفة ذلك سنتطرق إلى معرفة معنى هذا المصطلح.

مفهوم السيادة: "تعني السيادة في موسوعة لالاند الفلسفية، الرفعة والعلو، ومفهوم السيد يتضمن معنيين يمكنهما إذا لم ننهيه لهما أن يتسببان بمناقشات بلا طائل، يمكن أن تعني كلمة سيد الأرفع الأعلى أو الأكمل (الأسمى) في الحالة الأولى هو ما يكون شرطا بذاته غير مشروط، أي لا يخضع لأي شرط آخر (الأصالة)، وفي الحالة الثانية هذا الكل الذي لا يكون جزءا من كل أكبر من الجنس عينه (الكمال)"[1].

خصائص السيادة عند روسو:

"تستمد السيادة سلطتها من العقد الاجتماعي، والمقصود بالسيادة هنا، الشعب الذي يعبر عن إرادته العامة، وينفذها خلال تشريع القوانين، وإرادة صاحب السيادة هي السيادة نفسها ، وتتمثل في سيطرة الجسم السياسي على جميع أعضائه وفي تفاعلها مع الإرادة العامة ، والسيادة لا يمكن التعبير عنها، إلى جانب أنها غير قابلة للتقسيم، وتتصف بأنها لا تخطئ وبأنها مطلقة "[2].

يرى روسو بأن السيادة تأخذ مشروعيتها من العقد الاجتماعي، من خلال ما ينفذه صاحب هذه السيادة ، وهي تنقسم إلى ثلاث: سيادة غير قابلة للتنازل، سيادة غير قابلة للتجزئة والتقسيم وسيادة مطلقة .

السيادة غير قابلة للتنازل:

يقول روسو: " **من هنا يأتي بأن السيادة، إذ هي ليست سوى ممارسة الإرادة العامة، فإنه يمتنع أبدا التنازل عنها، وبأن صاحب السعادة، وهو ليس إلا موجودا**

[1]- أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1، ط2، منشورات بيروت، باريس، 2001، ص، 1322.

[2]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 246.

جماعيا، لا يمكنه أن يمثله أحد عدا أن يمثل نفسه هو بالذات إن السلطان يتسير نقله إلى الغير، وأما الإرادة فكلا "[1].

ومن هذا فإن روسو يعتبر بأن الإرادة العامة، هي صاحبة السلطة في المجتمع ويجب على المعني بالسيادة عدم التنازل عنها، أو نقلها إلى شخص آخر.

ويقول أيضا: " **لم يكن محالا أن تتوافق إرادة من الإرادات الخاصة مع الإرادة العامة على مسألة من المسائل، فمحال، في أدنى الحالات، أن يكون هذا التوافق قابلا للدوام وثابتا، وذلك لأن الإرادة الخاصة تنزع بطبعها إلى المفاضلات، بينما تنزع الإرادة العامة إلى المساواة، والأشد إمتناعا من كل ذلك هو إيجاد ضامن يضمن هذا التوافق ... قد يجوز لصاحب السيادة أن يقول أنا أريد حاليا ما يريد هذا الواحد من الناس أو على الأقل ما يصرح بأنه يريده"**[2].

يعني هذا أنه لا يمكن أن يكون هناك تطابق أو توافق، بين الإرادتين العامة والخاصة، باعتبار أن الإرادة الخاصة تقوم على المفاضلات، في حين أن الإرادة العامة تميل إلى المساواة .

"إن الإرادة لا يمكن أن تمثل قط، إنها تكون نفسها أو تكزن إرادة أخرى، وليس هناك قط حد وسط، وبما أن السيد (كما ألح روسو) ليس إلا كائنا جماعيا، فإنه "لا يمكن أن تمثل إلا بنفسه"[3].

معنى هذا أن كل قانون لا يقبله، الشعب فهو غير صالح وباطل، فلا يمكن أن تتنازل السلطة عن نفسها لهيئات أخرى، أو ممثلين لبرلمان ، فالسيادة يجب أن تكون لنفسها فقط.

السيادة غير قابلة للتقسيم:

"إما أن تكون أو لا تكون، فهي إما جسم للشعب أو جزء منه، وإما إرادة الجزء إرادة خاصة، وتقسيم الإرادة أو السيادة يعني القضاء عليها، ومن الخطأ اعتبار السلطات

---

[1]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 105.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 106.

[2]- جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص، 498.

أجزاء للسيادة، بل هي معطيات لها"[1]. معنى ذلك أن السيادة يجب أن تكون واحدة، ولا وجود لسيادة أخرى، لأن تقسيم السيادة يؤدي إلى التناقض، فالسيادة واحدة وليست متعددة فهي جسم الشعب والمشكلة له.

يقول روسو: " **إن السبب ذاك الذي جعل السيادة غير قابلة للتنازل، هو عينه الذي يجعلها غير قابلة للتجزئة، فإن الإرادة إما عامة أو لا تكون، وإما متعلقة بجسم الشعب أو متعلقة بجزء منه فقط، فأما في الحالة الأولى فإن هذه الإرادة الصريحة هي فعل سيادي ولها حكم القانون، وأما في الحالة الثانية، فليست سوى إرادة جزئية...إنها لا تعدو أن تكون مرسوما لا غير**"[2].

المقصود من ذلك، أن السيادة لا تقبل التقسيم أو التجزئة ، ويجب أن تكون عامة أي للشعب، وإذا كانت جزء فهذا لن يكون عمل السيادة، ولن تعتبر بمثابة قانون، وبالتالي فإنه من الخطأ اعتبار ما يصدر عن السيادة كأجزاء منها، لأنها ستكون مجرد مرسوم فقط.

السيادة المطلقة:

"لا بد للدولة أن تمتلك قوة شاملة، تستطيع أن تعرض كل شيء، وأن تحصل على كل شيء يتفق وصالح الجميع، وكما تمنح الطبيعة الإنسان سلطة مطلقة على أعضائه، فكذلك يمنح العقد الاجتماعي الجسم السياسي سلطة مطلقة على أعضائه"[3].

المقصود بذلك أن للدولة السلطة الكاملة والسيادة المطلقة في التصرف، ولكن يجب أن تكون هذه السلطة، تناسب جميع الأفراد في المجتمع.

يقول روسو: " **إذا كانت الدولة أو المدينة لا تعد غير شخص معنوي، تقوم حياته على اتخاذ أعضائه، وإذا كانت سلامتها الخاصة أهم ما تعني به، وجب أن تكون لها قوة عامة قاهرة لتحريك وإعداد كل قسم على أكثر الوجوه ملائمة للجميع، وكما أن الطبيعة تمنح كل إنسان سلطة مطلقة على جميع أعضائه، يمنح الميثاق الاجتماعي الهيئة**

[1]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 246.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 106-107.

[3]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 247.

السياسية سلطانا مطلقا على جميع أعضائها أيضا، وهذه السلطة نفسها، وهي التي توجهها الإرادة العامة، تحمل اسم السيادة كما قلت "[1].

معنى ذلك أن روسو يركز على الطابع المطلق لهذه السلطة السياسية، ولها حدود لا يمكن تجاوزها، كما أن هذه السلطة توجهها الإرادة العامة لتصبح سيادة، بحيث لا يمكن انتهاكها، ويجب أن تكون ملائمة للجميع دون استثناء، وبهذا تحقق مطلقيتها على كل عضو فيها.

ويقول روسو أيضا: " **السلطة السيدة، المطلقة، المقدسة، المبرمة كما هي، لا تجاوز ولا يمكن أن تجاوز، حدود العهود العامة، وأن كل إنسان يستطيع أن يتصرف تاما فيما ترك له من أمواله وحريته، بهذه العهود فلا يحق للسيد، مطلقا أن يحمل أحد الرعايا أكثر مما يحمل الآخر، وذلك لأن الأمر يصير خاصا هنالك فيعود سلطانه غير ذى اختصاص**"[2].

معنى ذلك أن هذه السلطة السيدة مهما بلغت مطلقيتها، فيجب أن تحافظ على حدودها وحدود الآخرين، بحيث عليها أن تترك الفرد يعيش حرا بدون قيود، فإذا تدخل السلطان في حياة رعاياه أصبح حاكما ظالما، فالحرية هي مبدأ كل إنسان في الحياة.

[1]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 66.

[2]- المرجع نفسه، ص، 69.

المبحث الثالث: أشكال الحكم.

1- المطلب الأول: الديمقراطية.

تناول روسو في فكره السياسي خاصة في كتابه العقد الاجتماعي، أهم الأنظمة التي كانت سائدة، وقد سعى من خلال ذلك للوصل إلى النظام الأمثل ، وأول هذه الأنظمة هو النظام الديمقراطي.

"من المعروف أن الديمقراطية شكل الحكم الذي يتولى فيه الشعب كجسم، وليس فقط التصويت عليه، وإنما يقرر التدابير الخاصة المطلوبة من أجل تنفيذها، إن السلطة التنفيذية والتشريعية تلحق هنا السلطة التشريعية، وهذا يعني إدماج السلطات، أي النظام المتكامل الذي يقوم فيه العدد الأكبر لكل شيء بالأعمال الخاصة، وبالأعمال العامة".[1]

بين جان جاك روسو أن الديمقراطية تقوم بتداخل السلطة التنفيذية والتشريعية ،وهي نظام حكم يمارس فيه الشعب ككل تشريع القوانين، ويراقب تنفيذها ، وتقوم الأغلبية بالصالح العام والمصالح الذاتية.

يقول روسو: "**وأما إذا أخذنا لفظ الديمقراطية في معناه الدقيق، بأن الديمقراطية الحقانية لم توجد قط ولن توجد أبدا، فإنه لما يضاد النظام الطبيعي، أو يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر محكوما، وليس من الجائز أن نتخيل الشعب لا ينفك مجتمعا، لكي ينقطع للشؤون العامة، وبين لنا بسهولة أنه لا يمكن للشعب أن يقيم لجانا تتولى تلك الشؤون مكانة، من دون أن يتغير شكل تصريف الإرادة**"[2].

يرى روسو أنه لا وجود لمعنى الديمقراطية، ولا يمكن وجودها، وهي بذلك عكس النظام الطبيعي المعروف، ولكنها تمثل بأن أقلها عددا يستحوذ على أكبر قدر من السلطة.

"والديمقراطية عند روسو هي نظام الحكم، الذي يمارس فيه الشعب ككل تشريع القوانين ويراقب تنفيذها، وفيها تتحد السلطتان التشريعية والتنفيذية، وتقوم الأغلبية بتنفيذ كل شيء يتعلق بالصالح العام وبالمصالح الذاتية"[3].

---

[1]- فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، مرجع سابق، ص، 122.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 158.

[3]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 249.

المعنى من ذلك أن الديمقراطية، هي مزيج بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وهي مراقبة كل القوانين ذات العلاقة بالمصالح، سواء كانت عامة أو خاصة.

2- المطلب الثاني: الأرستقراطية.

تحدث روسو عن ثلاث أنظمة وثاني نظام هو النظام الأرستقراطي: فما هو هذا النظام ؟ وما موقف روسو منه؟.

"الأرستقراطية: هي الحكم المسند لعدد قليل، إنها إما أن تكون وراثية، وهذا هو الأسوأ من بين كل أنظمة الحكم، أو أن تكون انتخابية، وهذا هو الحكم الأفضل: لأنه يختار أعضاء ويقود الشؤون بنظام وسرعة، أي نظام هو طبيعي أكثر من أن "يحكم الأكثر حكمة الجمهور"[1].

يقول روسو: " **تأتي الأرستقراطية، إذا على ثلاثة ضروب: طبيعية، وانتخابية ووراثية فأما الأول فلا يصلح إلا للشعوب على الفطرة، وأما الثاني فهو أسوأ ضرب من ضروب الحكم، وأما الثالث فهو أفضلها، إنها الأرستقراطية في معناها الحقيقي**"[2].

يرى روسو أن الأرستقراطية هي أقدم أنظمة الحكم، وهي ثلاث أنواع أسوؤها لأرستقراطية الوراثية وأفضلها الانتخابية.

"ولكن الأرستقراطية إذا كانت لا تتطلب جميع ما تحتاج إليه الحكومة الشعبية، من الفضائل فإنها تقتضي فضائل أخرى خاصة بها، وذلك كالاعتدال في الأغنياء والقناعة في

الفقراء، وذلك لما يلوح من عدم صواب المساواة الوثيقة هناك"[3].

3- المطلب الثالث: الملكية.

الملكية هي ثالث نظام تكلم عليه روسو في فكره السياسي ، فماذا يمثل هذا النظام؟ وما هي آراء روسو حوله ؟.

"تمتاز الملكية عن غيرها من نظم الحكم بما لها من قوة في تنفيذ الأشياء، فهي تحتوي على إرادة الشعب وإرادة الملك، والقوة العامة للدولة وقوى خاصة للحكومة

[1]- جون جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي،مرجع سابق، ص، 509.

[2]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 161.

[3]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 119.

والجميع يعمل لهدف واحد، ويرى روسو في هذه الحكومة أحسن النظم السياسية، وفيها يكون الشعب هو صاحب السيادة، والملك هو الشخص الوحيد الذي يسهر على تنفيذ القوانين، ولكي يمنح روسو الملكية من أن تتحول إلى حكم فردي مطلق مبني على القوة يوصي الملك بأن يهتم بحب الشعب له"[1].

الملكية التي أراد روسو أن يتوصل إليها، هي ملكية الشعب وإرادة الملك، وقوى الحكومة ليكون الهدف الأسمى ، هو التساوي بين الأفراد داخل المجتمع الواحد.

يقول روسو:"**ونعلم من العلائق العامة أن الملكية لا تلاءم غير الدول الكبيرة، ونجد هذا عندما ندرسها في حد ذاتها، وكلما كانت الإرادة العامة كثيرة نقصت علاقة الأمير برعاياه، واقتربت من المساواة، وذلك بحيث تكون هذه العلاقة وحدة أو مساواة في الديمقراطية، ويزيد هذا الفرق كلما تقبضت الحكومة، وهو يبلغ حده الأقصى عندما تصبح قبضة واحدة، وهنالك يوجد بون واسع بين الأمير والشعب وتفقد الدولة ارتباطها**".[2]

يوضح روسو من هذا أن الملكية تتناسب فقط مع الدول الكبرى ، كما أنه إذا زادت الإرادة العامة تنقص علاقة الأمير بشعبه

حيث يقول: "**ومع ذلك فلا توجد البتة حكومة أخرى لها من العنفوان ما يفوق عنفوان الملوكية، كما لا توجد البتة حكومة أخرى تحوز الإرادة الجزئية فيها على سلطان أقوى وتسري سيادتها على غيرها بيسر أكبر، حقا إن كل شيء يجري إلى عين الهدف الواحد، ولكن هذا الهدف ليس البتة السعادة العامة، بل إن القوة نفسها التي للإرادة ما تنفك تجري بما فيه ضرر بالدولة**"[3].

إن غاية الملوك في نظر روسو هي أن يجعلوا من حكمهم حكم مطلق،وأن يحبهم المواطنين ، ولكن الوسيلة التي تكسبهم حب شعبهم هي أن يكونوا عادلين، لأن الشعب هو الحاكم الأول وبإرادته يكون نجاح الدولة .

---

[1]- إبراهيم دسوقي أباظة وعبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق، ص، 250.

[2]- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، مصدر سابق، ص، 122.

[3]- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 164.

الفصل الثالث:

جدلية العلاقة بين التربية والسياسة عند روسو.

المبحث الأول: البعد التربوي في السياسة .

1-المطلب الأول: تربية إميل .

2-المطلب الثاني:التربية السياسية.

المبحث الثاني: البعد السياسي في التربية.

1-المطلب الأول: العقد الاجتماعي ومدى تأثيره في المجتمع.

2-المطلب الثاني: إميل والمجتمع.

3-نقد وتقييم.

تمهيد:

لقد سجل روسو في الفكر التربوي والسياسي قفزة نوعية خاصة، من خلال كتابيه الشهيرين " العقد الاجتماعي " وكتابه عن التربية بعنوان " إميل "، وما حصل في حياته كان دافعا لأن يجعل منه نقطة تحول، فأعظم ما قدمه روسو للتربية هو عبقريته في تربية الطفل، وما حققه أيضا في العقد الاجتماعي، الذي يعتبر الدعوة للعودة إلى الحالة الطبيعية، وإرساء مبادئ الحرية والمساواة، ولكي يتحرر الإنسان من العبودية والقهر، هذا ما دفعنا إلى معرفة هذه العلاقة التي تربط كل من العقد الاجتماعي وتربية الطفل، التي سعى إليها روسو من خلال ما قدمه في "إميل".

المبحث الأول: البعد التربوي في السياسة.

1- المطلب الأول: تربية إميل.

"يقدم روسو في كتابه "إميل"، مساهمات هامة في النظرية التعليمية، يستطيع القارئ الحديث أن يميزها عن كثير من النظريات غير العملية، يعرف روسو أن الطفل يجب أن ينقاد لتحقيق النتائج الطبيعية لسلوكه الخاص، ويتعلم بالتالي أن يحكم نفسه، فالتعليم يجب أن لا يكون مصطنعا بقدر الإمكان، ويجب أن لا يعامل الطفل بوصفه راشدا غير ناضج لأنه يمر خلال مراحل مختلفة، فيكون طفلا وصبيا، ومراهقا، ولا بد من احترام شخصيته في كل مرحلة منها"[1].

وفي هذا يقول روسو: " **ولكي يكون المرء شيئا، ويكون مخلصا في كيانه سليم الوحدة، ينبغي أن يطابق عمله قوله، على بينة مما ينبغي أن يفعل، فيقدم على فعله في حزم وثبات ومثابرة . وإني لمشوق أن أرى هذه النابغة، كي أتبين أهو إنسان أم مواطن، أو كيف يتأتى له أن يكون الاثنين معا** "[2].

هنا يؤكد روسو، على أن الفرد الصالح يكون من خلال تحرره من قيود المدينة التي سيطرت على كيانه، وهذا من خلال مشروعه التربية الصالحة.

---

[1]- وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة، محمود سيد أحمد، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010، ص، 240.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة نظمي لوقا، مصدر سابق، ص، 30.

"إن روسو يدعونا إلى العودة إلى الطبيعة، ***Back to nature***، فلقد أوضح روسو في كتابه "إميل أو في التربية"، أن الرجوع إلى الطبيعة هو الحكمة ذاتها، وأن أول نقطة في الإصلاح سواء أكان إصلاحا سياسيا أو اجتماعيا، أو أخلاقيا أو صحيا أو تعليما، هي العودة إلى الطبيعية وإتباع قوانينها"[1].

مرة أخرى روسو يعلي من قيمة الطبيعة، خاصة فيما يخص تربية "إميل"، ويرى أنه من الضروري الرجوع إلى الطبيعة، ليكون "إميل" فردا صالحا، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي ...فالطبيعة خيرة بالفطرة.

"ويحث روسو الآباء على حب أطفالهم وفهمهم، وهو يؤكد أكثر من لوك واقعة مؤداها أن ذهن الطفل ليس مجرد قطعة من الطين، يشكلها المربي، ولكن يجب أن يسمح للغرائز الأصلية والقدرات، بأن تكشف عن نفسها بطريقة طبيعية ومقيدة"[2].

المقصود من ذلك أن التربية تحتاج إلى الآباء، وذلك باهتمامهم وعطفهم، كما يرى روسو ضرورة ترك الطفل على طبيعته، وهذا يساعده على اكتشاف مواهبه وقدراته.

"نادى روسو بتربية ملائمة لأعمار الأطفال، ولنموهم النفسي، وأكد حرية الطفل ونادى بتحريره من الكبت والإرهاق، وحرص على أن يشيد التربية انطلاقا من طبيعة الطفل واهتماماته وميوله، وهو فوق هذا وذاك، ألقى بذورا خصيبا، بدت غريبة في عصره، تتصل ...أمر تعليم الطفل لنفسه، وتتلقى بالتالي مع مبادئ التربية الذاتية الحديثة "[3].

تعتبر الحرية في فكر روسو أهم عنصر في تربية الطفل، فهي تجعله قادرا على النمو الطبيعي، والجيد كما يقول: روسو استنادا على الطبيعة، فهي أهم ما يشكل الطفل.

"أراد روسو أن يجد أسلوبا تربويا، يحفظ على تلميذه "إميل" خصال البراءة والطهارة وفضائل حالة الطبيعة، فأوضح أن الإنسان في حالة الطبيعة، لا يرتبط بالناس، بل بالأشياء ومن ثم لا بد من الحرص على بيان تأثير الأشياء، والذي يضمن حريته ويحفظها، يحتم على المشرعين أن يضعوا القانون في الحالة الاجتماعية، موضع الأشياء

[1]- علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، مرجع سابق، ص، 443.

[2]- وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص، 241.

[3]- عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، مرجع سابق، ص، 395.

في حالة الطبيعة من غير أن يضعوا الإنسان موضع الأشياء، فإذا كانت قوانين الأمم ثابتة، مثل قوانين الطبيعة... صارت علاقة الناس بعضهم ببعض داخل المجتمع، كعلاقة أحدهم بالأشياء"[1].

إن هدف روسو هو وضع أسلوب تربوي، يقوم على مبادئ هامة، تساعد "إميل" الطفل في الحفاظ على حالته الطبيعية، حيث اعتبر روسو أن الإنسان متصل بالأشياء وإذا قام بالاهتمام بهذه الأشياء وتأثيراتها، يضمن حريته وهذا في الحالة الطبيعية، والدولة إذا قامت على هذه القوانين الطبيعية، أصبحت العلاقة بين الناس كعلاقة الأشياء بالطبيعة حيث رأى بأنه من الأجدى أن يترك الفرد للطبيعة، وقوانينها، فالتربية تهيأ فرص النمو الطبيعي للإنسان، دون تدخل من قبل المجتمع .

يقول روسو:" **إن الناس في الحالة الطبيعية سواسية، ومهمتهم المشتركة أن يكونوا رجالا، وأنا لا يعنيني أن يكون مصير تلميذي الانظمام إلى الجيش، أو الكنيسة أو الاشتغال بالقانون، فالطبيعة تندبه قبل كل شيء للحياة الإنسانية، والحياة هي المهنة التي أريد أن ألقنه إياها، وحين يتخرج من بين يدي لن يكون قاضيا، أو جنديا أو قسيسا بل سيكون إنسان قبل كل شيء، بكل ما ينبغي أن يكون إنسانا، وسيعرف كيف يكون على الوجه الصحيح ... في موضعه الحق**"[2].

يرى روسو أن أفضل تربية هي أن يربى "إميل" ليكون إنسانا، إذ يجب عليه أن يعود إلى الحالة الطبيعية، وهذا يساعده على أن يكون رجل حق، ذو تربية صالحة وأخلاق عالية فلا يهم أن يكون خادما في الدولة، أو غيرها ، فالأهم أن يكون إنسانا فاضلا قبل كل شيء.

حيث يقول: "**المرء يبتغي أن يصون طفله، وهذا لا يكفي، بل ينبغي أن نعلمه كيف يحتمل ضربات القدر، وكيف يواجه البؤس والنعيم، وكيف يعيش إن اقتضى الأمر في الزمهرير والقيظ**"[3].

---

[1]- علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة،مرجع سابق، ص، 443.

[2]- جان جاك روسو، أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر نفسه، ص، 31- 32.

[3]- المصدر نفسه، ص، 32-33.

يقصد روسو من ذلك أنه يجب أن تكون تربية أطفالنا تربية صارمة وجيدة، ويجب أن نعلمهم كيفية مواجهة جميع مشاكل الحياة ، وأن نبث فيهم روح التحمل والتصدي، فهذا سيكون بمثابة الدرع الواقي، من ولادتهم إلى آخر يوم في حياتهم.

ويقول أيضا :" **يجب أن نوسع أفقنا، ونستهدف في تلميذنا الإنسان المجرد المعرض لجميع عوارض الحياة البشرية، ولو أن الناس كانوا يولدون مرتبطين بأرض وطنهم، ولو أن السنة كلها يستغرقها فصل واحد لا يتغير، ولو أن حظ كل واحد من الحياة لا يعتريه التبدل مطلقا، لكانت الطريقة السائدة في تربية الأطفال بحسب حال ذويهم، طريقة صالحة من بعض نواحيها**"[1].

إن التربية الصالحة هي العودة إلى الحالة الطبيعية، فعلينا أن نجعل الطفل يتعلم ويفهم مختلف مظاهر الحياة، ليستطيع حل جميع مشاكله، ولو أن كل مربي يعود إلى الحالة الطبيعية، لكانت تربية الأطفال صالحة دائما.

يقول:"**إن المدن تلتهم ساكنيها، وتفتك بهم، وبعد أجيال من حياة المدينة يشيع الانحلال الصحي، وتصاب السلالة بالهزال أو العقم، ولا يمكن تجديد حيويتها إلا عن طريق الريف، فأرسلوا أولادكم يتجددوا في الحقول الفسيحة وليستعيضوا عما استهلكه من عافيتهم هواء المدينة المزدحمة الفاسد**"[2].

معنى ذلك أن أفضل مكان لتربية "إميل" هو العودة إلى الريف، والابتعاد عن المدينة فهذه الأخيرة في نظر روسو هي طريق غير جيد، يجعل من الطفل مكبل وغير حر.

2-المطلب الثاني: التربية السياسية .

لا تخلوا قصة "إميل" من المعالم التربوية السياسية، أو ما يسمى بالتنشئة السياسية بحيث أن التربية السياسية، يجب أن تبدأ في السنوات الأولى من حياة الأطفال، والهدف من ذلك هو تنمية مشاعرهم في الانتماء والولاء للمجتمع.

[1]- المصدر نفسه، ص، 32.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر نفسه، ص، 60.

"فالاجتماع قد أضحى ضروريا، ومن العبث محاولة فضه، والعودة إلى حالة الطبيعة وكل ما نستطيع صنعه هو أن نصلح مفاسده، بأن نقيم الحكومة الصالحة، ونهيأ لها بالتربية المواطنين الصالحين"[1].

يرى روسو بأن الإنسان، أصبح مجبرا على أن يعيش مع الجماعة، فلا يمكنه أن يعيش منعزلا أو وحيدا، وأيضا لا يمكنه أن يعود إلى حالة الطبيعة، أو الحالة الأولى التي نشأ فيها، ولكن يمكن إصلاح كل المفاسد التي طغت على المجتمع، وذلك بإقامة حكومة صالحة للجميع وتحافظ على الفرد داخل المجتمع، وهذه الحكومة يجب أن تبنى على أساس التربية الجيدة، ليكون المواطن صالحا.

"يجب الرجوع إلى الطبيعة في التربية، فيترك الطفل يربي نفسه بنفسه، وبذلك ينشأ حرا جديرا بأن يكون عضو في دولة حرة، إذ ما من وسيلة لتربية الطفل لأجل الحرية، إلا تربيته بالحرية، وهذا يعني أن التربية يجب أن تكون سلبية ما أمكن، فتقتصر على معاونة الطفل في تربية نفسه بنفسه، وتجتنب كل ما يضيق عليه ويقيده"[2].

ومن هذا لا يمكن تربية الطفل، إلا من خلال تركه على حريته، أي يربي نفسه بنفسه على طبيعته وذلك من خلال الحرية، وهذه الأخيرة في نظر روسو هي أهم شيء في حياة الطفل، ليكون في المستقبل فردا حرا، في دولة حرة، ويكون مواطن صالح.

"إن أول مفهوم يمكن إدراكه عند الولد، وبطريقة عملية هو مفهوم الملكية، بحيث يبدأ بالتعرف على ألعابه، وأغراضه التي يملكها، بعد ذلك ينتقل روسو إلى مثل البستاني حين جاء "إميل" وزرع بقعة من النباتات، ما نمت النباتات قليلا، فجاء صاحب البستان وقلعها من جذورها، وحين شاهد "إميل" ذلك أحس بالمرارة، فتبين له أن صاحب البستان قد زرع البقعة نفسها ببذور أخرى – هنا يتدخل جان جاك روسو، ويظهر "لإميل" مفهوم الملكية ملكية البساتين والأراضي، والمنازل، وكيف يجب التصرف حيال هذه الملكية"[3].

معنى ذلك أن الطفل "إميل" يربى على ما يسمى بالتربية السياسية، وقد كانت الملكية من أهم المفاهيم التي تعلمها "إميل" في طفولته، وسيتعلم مفاهيم أخرى تجعله فردا صالحا

[1]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة،مرجع سابق، ص، 203.

[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة،مرجع سابق، ص، 204.

[3]- رزيق فوزية، معالم فلسفة التربية عند جان جاك روسو على ضوء قصة إميل، مرجع سابق، ص، 72.

في المستقبل، وبتربيته الجيدة يقوم في المستقبل بإصلاح ما يفسده المجتمع في الإنسان وقد تحدث روسو عن الملكية وهذا لضرورة الموازنة بين الحقوق والواجبات، أي ما يسمى بالمساواة.

"إن ما هو صحيح على الصعيد السياسي، هو صحيح، أيضا، على الصعيد التربوي أن نسيان واحتكار غرائز الإنسان الأولية، هو الذي أفسد كل شيء، وحينما فسد المجتمع لم يعد يستطيع أن يعطي سوى تربية فاسدة، ولكن بما أن المجتمع قابل للإصلاح، فالتربية أيضا، هي قابلة للإصلاح"[1].

إن أهم تربية هي تربية المجتمع، ولتأسيس مجتمع صحيح بعيد عن المفاسد الأخلاقية وجب الرجوع والاستناد دائما على التربية، لذلك وجب الربط بين السياسة والتربية، لأن الإصلاح السياسي يتبعه إصلاح المجتمع، وهنا تكمن التربية الصحيحة.

"إن المشروع التربوي الذي بينه روسو، لا يمكن إلا أن يخلصنا من التفاوت الطبقي الذي صنعته المدينة بمعية الأنظمة السياسية، وهذا ما جعل روسو يقدم مجموعة من المواقف حول التربية والتعليم، ويعتبرها بمثابة مبادئ أولية يجب الاهتمام بها، في مجال التربية"[2].

المقصود من ذلك أن روسو يهدف من مشروعه التربوي، إلى القضاء على ما يسمى بالفوارق، أو تفاوت الطبقات، بين أفراد المجتمع الواحد الذي تحكمه المدينة، وما يسمى بالسياسة، لذا حاول روسو أن يبين مدى أهمية التربية في حياة الطفل.

"من أجل خروج الإنسان من حالة المأساوية، يتوجب عليه أن يبحث عن الفردوس في العودة إلى الطبيعة في الإنسان، وفي الكون وفي المجتمع، لقد جاء كتابه "العقد الاجتماعي" دعوة مطلقة للعودة إلى حالة الطبيعة، وإحياء طقوس الحرية والمساواة، والتي كانت تسود المجتمعات الأصلية قبل أن يلفها الفساد، وفي التربية على الإنسان كي يتحرر من ربق العبودية والقهر، وينتقل إلى الفضاء الأرحب للحرية، أن يعمل على بناء الإنسان وفقا لمبدأ الطبيعة وروحها"[3].

---

[1]- أندري كرستون، روسو حياته فلسفته منتخبات،مرجع سابق، ص، 92.

[2]- محمد أبولوش، نظرية التربية عند جان جاك روسو، www .anfasse .org، 37،14، 21 أغسطس، 2015.

[3]- علي أسعد وطفة، الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية.

يرى روسو مرة أخرى أن العودة إلى الحالة الطبيعية، هي أفضل ما يمكن فعله لخروج الإنسان من حالة الأنانية، ومشاكل الحياة وخاصة الدولة وأنظمتها السياسية وكما يرى بأن أفضل ما يصلح فساد المجتمع هو التربية، فهي من تحرر الإنسان من هذه القيود وتجعله فردا حرا مستقلا.

"إن روسو يدافع عن هدف محدد للتربية، وهو يكمن في إعداد فرد كامل متنقل يستطيع قضاء حاجاته بنفسه، أي قادر على الاستقلالية والمسؤولية، وله القدرة على تجاوز كل مشاكل الحياة التي تصادفه مستقبلا "[1].

إن هدف روسو من التربية السياسية هو إعداد مواطن صالح، يستطيع أن يكون قدوة في المجتمع، وأن يكون قادرا على الاندماج بأفراد المجتمع، سواء في الدولة أو خارجها فالتربية في نظر روسو هي السبيل الوحيد في حل مشاكل الحياة، فهي تجعل الفرد قادرا على تحمل المسؤولية.

حيث يقول :"**فلو أن قوانين الأمم كان لها ما لقوانين الطبيعة من صرامة، لا تستطيع قهرها أي قوة بشرية، لكانت تبعية الناس شبيهة بتبعية الأشياء، ولا استطعنا أن نجمع للجمهورية جميع مزايا الحالة الطبيعية، والحالة المدنية، ولا استطعنا أن نجمع بين الحرية التي تقي الرجل الرذائل، وبين الأخلاق التي ترتفع به إلى مستوى الفضيلة**"[2].

بمعنى لو أن كل دولة، أو أمه من الأمم نشأت على الحالة الطبيعية لكانت أفضل وأقوى، ولأصبحت الجمهورية مزيج بين الحالة الطبيعية والحالة المدنية، وبهذا تعم الحرية ويستطيع أفراد المجتمع العيش في الفضيلة، القائمة على الأخلاق والتربية الجيدة.

"ويكمن الهدف من التربية عند روسو أيضا في تربية المواطن للحصول على الحرية والفضيلة معا، و للحصول على هاتين الثمرتين، لا بد من الانطلاق من الطفولة، ومتابعة تربيتها حتى يصبح الطفل رجلا، والرجل هو الإنسان والمواطن الكامل، إذ لا يمكن للمواطن أن يكون إن لم تكن الحرية، ولا حرية بلا فضيلة"[3].

---

[1]- محمد أبولوش، نظرية التربية عند جان جاك روسو.

[2]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص،83-84.

[3]- محمد أبو لوش، نظرية التربية عند جان جاك روسو.

معنى ذلك أن التربية عند روسو لها أهمية كبيرة في تكوين مواطن صالح للمجتمـــع ولمختلف مسائل الحياة، فالتربية السليمة تقوم بإنتاج فرد مستقيم، شرط أن تكون له حرية فهي المبدأ الأساسي في نظر روسو لنشوء وتربية الطفل منذ ولادته، إلى غاية كبره.

المبحث الثاني: البعد السياسي في التربية.

1- المطلب الأول: العقد الاجتماعي ومدى تأثيره في المجتمع.

"إن العقد الاجتماعي هو الذي ينهي عهد الفطرة ويعمل على إنشاء المجتمع، حيث تصبح السيادة والسلطان في حق لمجموع ككل، لا من حق فرد واحد على حدة...و يضع كل شخص جميع قوته، وضعا مشتركا تحت السلطة العليا للإرادة العامة، وهي وحدها الحق في قيادة الدولة، وتوجيهها نحو الغاية التي أنشئ من أجلها النظام السياسي، وهي الصالح العام، وتتحقق المساواة في ثنايا العقد الاجتماعي، كما أن إتحادهم يكون كاملا بالأخلاق، ولا يسمح بأي أفضلية لأي فرد وهكذا تتحقق المساواة التامة"[1].

يرى جان جاك روسو أن العقد الاجتماعي، ينهي ما كان علية إنسان الحالة الطبيعية وأن هذا العقد هو شرط أساسي للسلطة، وهو اتفاق يلزم الفرد بأن يخضع لشروطه بحيث يمثل الكل الإرادة العامة، وهي التي تقود الدولة لتحافظ على المصالح العامة، بين الأفراد ويترتب على ذلك أن تسود المساواة في المجتمع ، ويجب أن يكون إتحادهم مبني على أساس خلقي، وهذا ما يؤدي إلى القضاء على الفوارق، وتتولد مساواة تامة.

"ثمة حاجة انبثقت من ضرورة تعاون الناس في سبيل مقاومة قوى الطبيعة، ودفعت الناس إلى تعاقد أولي لا يرتكز إلى القوة، هو العقد الاجتماعي الذي يهدف إلى تكوين نوع من المشاركة، يحمي بكل قوى المشتركين فيه مجتمعه شخص وثروة كل عضو فيه ويذود عنهما، على وجه يمكن كل فرد، رغم إتحاده مع سائر الأفراد، أن يظل فيه حرا كما كان لا يطيع إلا نفسه، ويؤلف في الوقت ذاته جزءا لا يتجزأ من المجموع"[2].

يرى روسو أن حاجة الناس إلى بعضهم البعض للتصدي لعوائق الطبيعة، دفعتهم إلى إبرام عقد يتحد فيه الجزء مع الكل، أي الإرادة الفردية تذوب في الجماعة، والذي يهدف إلى المشاركة ليحمي المشتركين في المجتمع، وبهذا يتمتع الأفراد بكامل حرياتهم ويصبحون كتلة واحدة لا تقبل التجزئة.

"يرى روسو أن المجتمع السياسي لا يقوم على أساس القوة ولا على أساس الحق الطبيعي، حيث يقول روسو :" **إنني إذا نظرت إلى القوة وحدها، وعنيت بإيضاح النتائج**

[1]- علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، مرجع سابق، ص،444.

[2]- المرجع نفسه، ص، 447.

المرتبطة بها، وجدت أن شعبا يحسن الصنع إذا أضطر إلى الخضـــوع فخضـــع، ولكنـــه يحسن الصنع أكثر وأكثر إذا ما استطاع خلع النير فخلعه، إنه يستعيد حريته بالحق عينه الذي سلبه إياها"[1].

بين روسو أن القوة طاقة جسمية لا تؤدي إلى الحق ، فالأساس الذي يقوم عليه الحق هو الاتفاق والميثاق، لأن هذا الأخير هو حق مقدس يضمن جميع الحقوق، لأنه صادر من اتفاق الناس فيما بينهم، وليس من الطبيعة.

"حقا إن الإنسان يفقد في العقد الاجتماعي حريته الطبيعية، ولكنه يحصل لقاء ذلـــك على حرية مدنية، أو حرية سياسية و اجتماعية، كما يستفيد حق تملك ما يملك، أنه يفقـــد حريته الذاتية الأنانية لكي يحصل على الحرية المعنوية العاقلة، ...حرية المجتمع بأسره.

وما المجتمع هنا سوى هيئة معنوية أو"شخص عام"، تبدأ في نطاق وجـــوده الحيـــاة الأخلاقية كلها، وتظهر في مجاله فكرة الحق الصحيح، كما أن اتساق الناس في المجتمـــع يوفر"مساواة أدبية وشرعية تعوضهم عن الفوارق المادية أو الجسدية، التي قـــد تفرضـــها الطبيعة عليهم"[2].

يوضح روسو من هنا أن ما يفقده الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حريتـــه الطبيعيـــة وأما ما يكسبه فهو الحرية المدنية أو السياسية، وهي وحدها تجعل من الإنسان سيد نفســـه وبهذا يتخلى عن حريته الذاتية ليندمج مع المجتمع، ليتشكل فرد صـــالح، وبهـــذا تتكـــون مساواة بين الجميع لتمحو كل الفوارق.

"في حالة الطبيعة يكون الإنسان صالح بلا شك، إلا أن الإنسان يكـــون أســـعد فـــي المجتمع الناشئ، أي في حالة متوسطة بين حالة الطبيعة والمجتمع القائم، وهي حالة عابرة في الظاهر، غير أن روسو يعد أنها شباب العالم الحقيقي، وأن الجنس البشري كـــان قـــد خلق ليبقى فيها على الدوام"[3].

---

[1]- نقلا عن، علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة،مرجع سابق، ص، 446.

[2]- المرجع نفسه، ص، 448.

[1]- جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ترجمة، ناجي دراوشة، ج2، ط1، دار التكوين، دمشق ،2010، ص، 235.

يقول روسو:" **من الجائز أن نقدر جسما سياسيا على نحو اثنين، أولهما امتداد الأرض الحائز عليها، وثانيهما عدد أفراد شعبه، وإنه لتوجد بين هذين المقدارين علاقة ملائمة، كفيلة بأن تكسب الدولة عظمها الحقاني، إن البشر هم الذين يضعون الدولة وإن الأرض هي التي تطعم البشر، يتبع ذلك أن هذه العلاقة، تعني أن الأرض تكفي مؤونة سكانها...**"[1].

يرى روسو أن الجسم السياسي يتكون من ثنائية وهي الأرض والشعب، وأن هذه الثنائية تجمع بينهم علاقة تكاملية ومترابطة، لأن الدولة تكتسب هيبتها وعظمتها من البشر الذين يقومون بإقامة الدولة والأرض، وهي بمثابة غذاء الإنسان.

"رأى روسو في كتاب إميل أنه في الحالة الطبيعية لا يتبع الإنسان إلا الأشياء، لا للبشر، وهذه التبعية لا تضر بحريته فكيف السبيل إلى صون هذه المزية في الحالة الاجتماعية ؟ هنا ينبغي العمل "على إحلال القانون محل الإنسان، وعلى تسليح الإرادات العامة بقوة فعلية، متفوقة على فعل كل إرادة جزئية ؟ ولو كان في الإمكان أن تتسم قوانين الأمم، نظير قوانين الطبيعة بصلابة، لا تستطيع أية قوة بشرية أن تظهر عليها، لكانت التبعية للبشر عادت كما كانت من قبل تبعية الأشياء"[2].

معنى ذلك أن الإنسان قبل دخوله في الحالة الاجتماعية أي في الحالة الطبيعية، كان يتبع الأشياء وليس البشر، وقد كان يتمتع بالحرية في ذلك، أما في الحالة المدنية أصبح الغرض كيفية الحفاظ على هذه الحرية، أو غيرها من الأمور، بحيث يرى روسو أنه لو أمكن أن يستخدم الإنسان مزايا الحالة الطبيعية، لأمكن أن تجمع في الجمهورية مزايا الحالة الطبيعية، ومزايا الحالة المدنية، ولأصبحت التبعية للأشياء وليس البشر.

2- المطلب الثاني: إميل والمجتمع.

"لقد كان روسو يعرف أن أحدا لا يستطيع أن يشرع في إصلاح الدنيا، دون أن يسعى أولا إلى إصلاح التربية، والواقع أننا لا بد أن نبدأ بالطفل أن شئنا أن نطبق شيئا

[1]- جان جاك روسو، في العقد الإجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، مصدر سابق، ص، 136.

[2]- إميل برهييه، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص، 200.

على الناس، فإنما تتكون أخلاق المجتمع تبعا لما نغرسه من عادات ومبادئ في نفوس النشىء"[1].

المعنى من ذلك أن الإنسان قبل أن يصلح المجتمع، يجب أن يصلح نفسه، ويصلح تربيته أولا، وتكون هذه الأخيرة مع الطفل، الذي سيكون في المستقبل أحد أعمدة المجتمع ولكي يصلح الطفل، يجب أن تكون تربيته تربية صالحة، أساسها الأخلاق الحسنة والمبادئ الجيدة، التي تجعله فردا ذو أخلاق.

"ويدخل إميل المجتمع وعمره عشرون عاما، وهولا يتألق فيه ولا يسعى لكي يتألق ولكنه يستلفت الأنظار ويجتذب عطف الناس، ببساطته وطبيعته وصراحته، إنه يحب الناس، ويريد أن يحضى بالإعجاب، والاختلاط يتعلم ما هو الذوق"[2].

ومن هذا فإن إميل يبدأ اندماجه بالمجتمع منذ بلوغه العشرون سنة، ومن المستحسن أن يكون على طبيعته، ويتصرف بحسب شخصيته، وبهذا سيجعل من نفسه شخصا جيدا وينال إعجاب الناس.

"إن إميل لم يخلق لكي يبقى منعزلا، إنه عضو في المجتمع، ويجب أن يؤدي واجبه ولقد خلق ليعيش مع الناس، ولذا يجب أن يعرفهم، إنه يعرف الإنسان بصفة عامة، ويتبقى عليه أن يعرف الأفراد، وهو يعرف ماذا يفعل الناس في المجتمع: ويتبقى عليه أن يرى كيف يعيش الناس فيه"[3].

وبهذا فإن إميل يصبح أحد العناصر المشكلة للمجتمع ، أي عليه أن يختلط به ويتخلى عن عزلته بحيث عليه أن يقوم بواجباته تجاه هذا المجتمع، لأن الإنسان لم يخلق ليكون وحده بل خلق ليندمج مع مختلف الناس ويتعرف عليهم ليصبح واحدا منهم.

يقول روسو :" **إن واجبك أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت، والحياة ليست نفسا يتردد بل هي نشاط، واستخدام للجوارح والحواس والوظائف الحيوية، من**

[1]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو حياته، مؤلفاته، غرامياته، مرجع سابق، ص، 323.

[2]- المرجع نفسه، ص، 364.

[3]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو حياته، مؤلفاته، غرامياته، مرجع سابق ، ص، 363.

سائر عناصر كياننا، وليس أعظم الناس نصيبا من الحياة من سلخ فيها سنوات أطول بل من مارسها أكثر من سواه"[1].

إن الغاية من تربية الطفل كمواطن صالح عند روسو، هي جعله كائنا تستفيد منه الجمهورية، ولكي يصبح إنسانا يبحث عن مصلحة الجماعة، لا مصلحته الشخصية ويتمثل ذلك من خلال الطبيعة الخيرة.

"والحق أن إميل والعقد الاجتماعي مترابطان بأوثق العرى: فهما يدرسان مظهرين اثنين لمسألة واحدة، فإميل تلميذ، روسو: يتعين عليه أن يعيش في المجتمع، ولكن لابد من الاهتداء إلى نظام للتربية، يتيح له أن يحتفظ بكل براءة الحالة الطبيعية وفضائلها، وبكل طيبة الإنسان الفطرية، كذلك يتعين على الناس أن يجتمعوا: لكن لابد من الاهتداء إلى شكل للاجتماع، يحفظ للأفراد المساواة والحرية اللتين كانتا حاصلتين لهم بالطبيعة"[2].

معنى ذلك أن هناك علاقة بين إميل والمجتمع، فإميل يربى ليكون فردا صالحا في المجتمع، وذلك وفق المبادئ التربوية التي وضعها روسو، ومع هذه المبادئ يستطيع إميل أن يحافظ على حالة الطبيعة الأولى، أي حالة الخير والفضيلة، ويستطيع بتربيته أن يصلح ما هو فاسد في المجتمع، كما تتيح التربية نوعا من الحرية والمساواة، وبذلك يستطيع إميل أن يكون مواطنا صالحا بمعنى الكلمة.

يقول روسو:" **فالإنسان المتمدن يولد ويعيش ويموت في رق العبودية، حين يوثقونه بقماط حين يموت يسمرون عليه تابوتا، ومادام على وجه الدنيا فهو مكبل بشتى النظم**"[3].

معنى ذلك أن الطفل إذا تربى في وسط المدينة، فإنه سيعيش بدون حرية، وتحكمه عادات المجتمع وتفسده، ويصبح مسيرا عن طريق الحكومات والنظم السياسية التي تحكم مجتمع المدينة، فكما يقول روسو يصبح مقيدا ومكبلا.

"يتحدث روسو عن الرعاية التي يجب أن يحضى بها الطفل، ويكافح الأباطيل والعادات السيئة في عصره، فيقول": إن كل حكمتنا تكون من معتقدات باطلة وضيعة،

---

[1]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 33.

[2]- إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص، 200.

[3]- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، مصدر سابق، ص، 33.

وكل عاداتنا ليست سوى استبعاد، ومضايقة وقهر، إن الشخص يولد ويعيش ويموت في العبودية"[1].

ومن هذا فإن تربية الطفل يجب أن تمس كل أنواع الرعاية والاهتمام، لأن عليه أن يواجه كل مشاكل الحياة، وكل ما يجده من عادات وأمور سيئة.

"إن فتنة الحياة المنزلية هي خير ترياق ضد الأخلاق السيئة، إن ضوضاء الأطفال التي نظنها مضايقة تصبح ممتعة، إنها تجعل الأب والأم أكثر ضرورة وعزة، كلاهما بالنسبة للآخر، إنها توثق رابطة الزوجية فيما بينهما ... وهكذا فمن إصلاح هذا الخطأ وحده سرعان ما ينتج إصلاح عام[2].

يبدأ الإصلاح من الأسرة، فهي أول بيئة ينشئ فيها الطفل، فإذا كانت الحياة داخل الأسرة مستقرة، فإن هذا الاستقرار يقضي على مختلف الأخلاق السيئة، التي تضر بالطفل لذلك فإن صلاح الأسرة يصلح الطفل، وإذا صلح الطفل يصلح المجتمع.

"ولأن إميل لم يتأثر بأباطيل المجتمع، فإنه سوف يقدر أعمال الناس بميزان – دقيق وسليم هو ما تنطوي عليه من فائدة ... فقيمة كل عمل هي في مدى اتساع الخدمات، وفي الفائدة التي يقدمها للمجتمع"[3].

يقول روسو :" **أما أنا فأني أريد أن أعطيه مركزا لا يستطيع أن يفقده، مركزا شرفه في كل زمان، أريد أن أرفعه إلى حالة الإنسان** "[4].

أراد روسو أن يجعل من "إميل" رجل ذا قلب طيب، ويتحلى بالإنسانية التي تبقى معه إلى آخر حياته، في ظل الحياة الاجتماعية.

3- نقد وتقييم:

لقد وجه العديد من الفلاسفة نقدا لبعض آراء روسو، خاصة فيما يخص الحالة الطبيعية والعقد الاجتماعي،" فالبعض يرى أنه لا وجود لأثر تاريخي لحالة الطبيعة، فهي مجرد افتراض، وإن فكرة عبارة عن فكرة افتراضية، كذلك لتبرير قيام المجتمع والدفاع

---

[1]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو حياته مؤلفاته غرامياته، مرجع سابق، ص، 326.

[2]- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو حياته مؤلفاته غرامياته، مرجع سابق، ص، 327.

[3]- المرجع نفسه، ص، 333.

[4]- المرجع نفسه، ص، 333.

عن حقوق الإنسان فيه، ذلك لأنه لا يمكن تصور حدوث عقد خارج إطار نظام أو سلطة تنظمه وتحميه، إن قبول الإنسان بالعقد وإنشاء المجتمع يفترض أن الإنسان اجتماعي وهذا ما يعيدنا إلى مقولة أرسطو الشهيرة " الإنسان مدني بطبعه "[1].

"وأي علاج وصف روسو لأمراض الاجتماع ؟ إنه علق النجاة على الديمقراطية ذات الإرادة الكلية، المستقيمة دائما...أي أنه رأى علاج الاجتماع بضرب من الاجتماع فقدس العقد الاجتماعي، على حين أن النتيجة المنطقية لمبدئه هي الانتفاض على الاجتماع والعمل على العودة إلى حالة الحرية، و البرارة والسذاجة أي المذهب الفوضوي، والواقع أن تحقيق الاجتماع محال"[2].

"ومن المؤسف أشد الأسف، أن نرى هذا الرجل يتحدث عن التربية وعن الشفقة وهذا الذي عهد بأولاده إلى أحد الملاجئ، فلم يحبهم ولم يعن بهم"[3].

رغم الانتقادات اللاذعة التي انصبت على أفكار روسو، سواء كانت السياسية أوالتربوية، إلا أن نظريته في كلا الفكرين كانت متكاملة وهذا ما يقوله أحد المفكرين " ومع ذلك كانت القوة الدافعة لافتراضاته و اقتراحاته دامغة وعنيفة، ولقد فاقت خيالاته ومغالطاته... تلك الملاحظات العقلية الرفيعة، التي أتى بها مونتسكيو، ولعل أكبر دليل على هذا التفوق هو الشواهد التي صدرت عن فلسفة السياسة البحتة من جهة، والتطبيقات السياسية من جهة أخرى، فلقد تحولت اقتراحات روسو في كل منها إلى نظريات رائعة"[4].

"إن تأثير روسو السياسي ازداد يوما بعد يوم بعد مماته، وأن من يقرأ كتاباته الآن الآن يشعر بقيمتها الأبدية، من جهة وبأنها يمكن أن تكون أساس فلسفات سياسية جديدة تبتكرها الأجيال على مر الدهور من جهة أخرى ... إن فلسفة روسو السياسية هي فلسفة كل العصور"[5].

---

[1]- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، مرجع سابق، ص، 176.

[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص، 216.

[3]- المرجع نفسه، ص، 217.

[4]- علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، مرجع سابق، ص، 459.

[5]- المرجع نفسه، ص، 460.

كما لا يمكننا أن ننسى مدى أهمية مشروعه التربوي في تربية الطفل، وذلك من خلال الانطلاق من طبيعته واهتماماته.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال تعرضنا لهذه الدراسة وانطلاقا مما اكتشفنا وحاولنا الإجابة عليه في بحثنا تأكد لنا أن موضوع التربية والسياسة من أهم المواضيع والإشكاليات التي برزت في فكر روسو، كون أنه قدم نظرية سياسية وتربوية متكاملة بنيت على أساس طبيعي، لأن روسو يرى أن كل شيء يأتي من الطبيعة فهو جميل وحسن وخير طالما لم تمتد إليه يد الإنسان والعودة إلى الحياة البدائية أي إلى المجتمع الطبيعي. فهذه الأخيرة كانت بالنسبة إليه أساس لإصلاح المجتمع المتمدن، وكذلك حاول أن يجعل من الفرد إنسانا قبل كل شيء ونخلص أيضا إلى أن جان جاك روسو قد برع في موقفه السياسي، أو ما يسمى بالعقد الاجتماعي رغم أنها كانت معروفة قبله إلا أن نظريته كانت مختلفة عن باقي النظريات التي أتى بها فلاسفة العقد الاجتماعي على غرار هوبس ولو ك فروسو حاول من خلال العقد تأصيل حقوق الإنسان، ومنه فالحقوق الإنسانية هذه هي حقوق طبيعية لا يمكن التخلي أو التنازل عنها، لذا فإن العقد الاجتماعي الذي ينشأ بواسطة الإرادة العامة الجماعية هو الحل الضروري للحفاظ على تلك الحقوق، وكما توصل روسو بعبقريته خاصة من خلال ما جاء به في التربية أن يجعل من الطفل رمز البراءة والعطاء، فسعادة الطفل هي الهدف المطلق في التربية، فهذه الأخيرة في نظره هي عملية مستمرة عبر العصور وتتحقق عندما نسمح للطفل أن يعيش حياته وفق ميله الطبيعي، فالهدف من مشروع روسو سواء كان التربوي أو السياسي أن يبني إنسانا على صورة الطبيعة، أي كما خلقته فالطبيعة تريد أن ينمو الطفل حرا، وأن يعمل بمقتضى تكوينه الطبيعي بوصفه طفلا فقد أراد روسو أن ينشأ الطفل في الشعور الاجتماعي، الذي تسوده الحرية فالطفل الذي ينشأ على تلك الطريقة الحرة هو الأصلح لمجتمعه، وكما أن المشروع التربوي عند روسو هو امتداد في السياسة والاجتماع، فالتربية في نظره هي تربية وطنية تهدف إلى إعداد مواطنا فالحكومة هي من تصنع المواطن فالسياسة تربي والتربية تصنع السياسة لأن كل مواطن سياسي كما تكمن العلاقة التي تربط التربية بالسياسة من خلال ما قدمه روسو في فلسفته ككل وذلك بداية مع التناقض الموجود بين الطبيعة والمجتمع، فهذا الأخير بالنسبة لروسو لا يتوقف عن إفساد الطبيعة والبشر والكون، فالإنسان إذا ما أراد أن يحافظ على الحالة الطبيعية عليه الابتعاد عن مفاسد المجتمع، لذا لجأ روسو إلى خير بديل وهو التربية فهي

السبيل الوحيد لإصلاح ما يفسده المجتمع في الإنسان وهذه غاية روسو إصلاح كل ما هو سياسي بالتربية، وفي الأخير يمكننا القول بأن روسو كان ومازال أحد أهم أعلام الفكـــر السياسي والتربوي فقد كان له الفضل في تطوير هذه النظريات.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

1.روسو جان جاك: إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة، نظمي لوقا، (د،ط)، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د، ب)، (د،ت)

2.روسو جان جاك إميل: ترجمة عادل زعيتر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1936

3.روسو جان جاك: أصل التفاوت بين الناس، ترجمة، عادل زعيتر ،(د،ط)، دار مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012،

4.روسو جان جاك: خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ترجمة، بولس غانم، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009

5.روسو جان جاك: دين الفطرة، ترجمة، عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012،

6.روسو جان جاك: في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمة، عبد العزيز لبيب، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011،

7.روسو جان جاك:العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ترجمة، عادل زعيتر، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995

المراجع

1.أباظة إبراهيم دسوقي وعبد العزيز غنام: تاريخ الفكر السياسي ،(د،ط)، دار النجاح، بيروت، 1973.

2.أبو جابر فايز صالح: الفكر السياسي الحديث، (د،ط)، دار الجبل، بيروت، 1985

3.برهييه إميل: تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1993.

4.توشار جان: تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، ترجمة، ناجي دراوشة، ج2، ط1، دار التكوين، دمشق، 2010.

5.حاروش نور الدين: تاريخ الفكر السياسي ،ط2، دار الأمة، الجزائر، 2012

6.حسن هيكل محمد ، روسو، حياته، وكتبه، (د،ط) دار المعارف، القاهرة، (د،ت)،

7.ديورانت ول وايرل: قصة الحضارة روسو والثورة، ترجمة فؤاد اندراوس، ج1، مجلد 10، دار الجيل للطباعة، (د،ط)، بيروت،

8.زروخي إسماعيل: دراسات في الفلسفة السياسية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

9.شتراوس ليو: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005،

10. شوفاليه جان جاك: تاريخ الفكر السياسي، ترجمة، محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1985،

11. عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، (د،ط)، دار العلم للملايين، بيروت، 1984

12. عريب مختار:الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا ،(د،ط)، دار الكنوز والحكمة، الجزائر، 2009

13. كرستون أندري: روسو حياته – فلسفته – منتخبات، ترجمة، نبيه صقر، ط4، منشورات عويدات، بيروت، 1988

14. كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، (د،ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د،ت)،

15. محمد إسماعيل فضل الله ، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1، بستان المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، (د،ت)

16. محمد إسماعيل فضل الله: رواد الفكر السياسي الحديث، (د،ط)، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008

17. محمد علي عبط المعطي: تيارات فلسفية حديثة، (د،ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984،

18.المستكاوي نجيب: جان جاك روسو، حياته مؤلفاته غرامياته ،ط1، دار الشروق، القاهرة، 1989.

19. وقيع الله محمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية، ،ط1، دار الفكر، دمشق، 2010،

20. وليام كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة، محمود سيد أحمد، ط1، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010

الموسوعات والمعاجم

1.أندري لالاند: الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1، ط2، منشورات بيروت، باريس، 2001،

2.جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج2، (د،ط)، بيروت، 1982

3.جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط2، دار الطليعة ، (د،ب)، 1997

4.فرادوارد موريس: موسوعة مشاهير العالم، ج5، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 2002

5.فؤاد كامل وآخرون : الموسوعة الفلسفية المختصرة، (د،ط)، دار القلم، بيروت (د،ت)،

المجلات :

1.إبراهيم العريس: ألف وجه لألف عام إميل أو التربية روسو يضع أسس النمو الإنساني، مجلة الحياة السعودية، العدد 14، 2003.

2.الخطاط خاليد ، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، نقد وتنوير، العدد 1 ، المغرب، 2015

الرسائل الجامعية :

1.الحاج رباني: نظرية العقد الاجتماعي كتأصيل فلسفي لحقوق الإنسان عند هوبز، لوك، روسو، مذكرة ماجستير، (منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003،

2.رزيق فوزية :معالم فلسفة التربية عند جان جاك روسو على ضوء قصة إميل، مذكرة ماستر، (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012،

3.سي بشير محمد: إرهاصات العقد الاجتماعي في ظل سياسة العولمة، مذكرة ماجستير (منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005

4.مويسات حنان: الفكر السياسي في فلسفة جان جاك روسو، مذكرة ماستر، (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة محمد بوضياف، المسيلة،2017،

المواقع الالكترونية

وطفة علي أسعد: الثورة الطبيعية في فلسفة جان جاك روسو www .civiceg gpt.org مجلة التنوير 12:16، 21/4/ 2012

أبولوش محمد: نظرية التربية www .anfasse .org، 14:37، 21 أغسطس، 2015.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة .....أ

الفصل التمهيدي

التعريف بجان جاك روسو

1- التعريف بجان جاك روسو *J.J.Rousseau* 5

2- مصادر فكره 6

3- أهم آثاره 10

الفصل الأول

معالم الفكر التربوي عند جان جاك روسو

تمهيد 14

المبحث الأول : التربية والطبيعة عند جان جاك روسو 14

المطلب الأول : تعريف التربية 14

المطلب الثاني: الطبيعة ودورها في التربية 17

المبحث الثاني : أسس ومبادئ التربية عند جان جاك روسو 19

المطلب الأول : المبادئ التربوية عند روسو 19

المطلب الثاني: أهم الأفكار التربوية 20

المبحث الثالث : مراحل تربية الطفل (إميل) 23

المطلب الأول : التربية الطبيعية والتربية الأخلاقية (من الولادة إلى الثانية عشر) 23

المطلب الثاني : التربية الذهنية والتربية الدينية (من الثانية عشر إلى المراهقة) 28

الفصل الثاني:

معالم الفكر السياسي عند جان جاك روسو

تمهيد.....35

المبحث الأول: الحالة الطبيعية والحالة المدنية.....35

المطلب الأول: الحالة الطبيعية.....35

المطلب الثاني: الحالة المدنية.....38

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية (العقد الاجتماعي).....41

المطلب الأول: العقد الاجتماعي 41
المطلب الثاني: مبادئ العقد الاجتماعي 44
المبحث الثالث: الإرادة العامة والسيادة 51
المطلب الأول: الإرادة العامة 51
المطلب الثاني: السيادة وخصائصها 54
المبحث الرابع: أشكال الحكم 53
المطلب الأول: الديمقراطية 58
المطلب الثاني: الأرستقراطية 59
المطلب الثالث: الملكية 60

الفصل الثالث:

جدلية العلاقة بين التربية والسياسة عند روسو.

تمهيد 64
المبحث الأول: البعد التربوي في السياسة 64
المطلب الأول: تربية إميل 64
المطلب الثاني: التربية السياسية 68

المبحث الثاني: البعد السياسي في التربية 73
المطلب الأول: العقد الاجتماعي ومدى تأثيره في المجتمع 73
المطلب الثاني: إميل والمجتمع 76
نقد وتقييم: 79
الخاتمة 82
قائمة المصادر والمراجع 85
فهرس الموضوعات 91

تم بحمد الله